مجلة كلمة حق
السنة الأولى
العدد 07 | فبراير 2018

كلمة حق



إنه رسول الله
أ.حازم صلاح أبو إسماعيل

نحو تفكيك الأنظمة القضائية الحديثة
محمد وفيق زين العابدين

المجلس العسكري .. طبيعة التشكيل وحدود الدور
محمود جمال

ملامح خطة عامة للأمة الإسلامية
محمد إلهامي

حروب الأنفاق .. تفوق المستضعفين
عبد الغني مزوز

مسيرة الجماعة الإسلامية
م.أحمد مولانا

وغيرها من المقالات ....

محتويات العدد

كلمة حق
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين
العدد السابع , فبراير 2018
klmtuhaq
www.klmtuhaq.blog
المشرف العام
محمد إلهامي
مدير التحرير
معتز زاهر

الافتتاحية : القرآن المحفوظ دليل المقاومة 3
محمد إلهامي

حـروب الأنفـاق..تفـوق المستضعفيـن 9
عبد الغني مزوز

نحو تفكيك الأنظمة القضائية الحديثة 19
محمد وفيق زين العابدين

يسألونك عن الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ (04) 25
الصغير منير

مسيرة الجماعة الإسلامية 32
م.أحمد مولانا

ملامح خطة عامة للأمة الإسلامية 41
محمد إلهامي

الرأي العام في معارك الحقوق 47
محمد شعبان صوان

المجلس العسكري..طبيعة التشكيل وحدود الدور 57
محمود جمال

مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني (2) 67

إنه رسول الله 76
أ.حازم صلاح أبو إسماعيل

دماء الشهداء..والحرية الحمراء 83
د.عطية عدلان

العلاقة بين الحاكم والمحكوم (4) 87
د.البشير عصام المراكشي

الحصة الأولى..كيف تصنع قنبلة نووية ! 94
معتز زاهر

الافتتاحية..

القرآن المحفوظ دليل المقاومـــة

محمد إلهامي

المشرف العام



"لو لم يكن نص القرآن محفوظا من عند الله لكان الذين حرفوه وبدلوه هم المسلمون أنفسهم لا أعداؤهم!"

ربما تكون هذه مفاجئة للأكثرين، لكن الواقع أن هذا هو ما كان سيكون، فكذلك فعلت الأمم السابقة بكتبها، هم من بدلوه وغيروه وليس أعداؤهم!

ولو لم يحدث هذا لشهوة حاكم أو لانحراف عالِم لحدث للأمة في وقت استضعافها، ففي ذلك الوقت يُنتج المهزومون نفسيا نسخة من الإسلام توافق وتتماهي مع الثقافة الغالبة، يحاولون بها التوفيق بين أصولهم وجذورهم الإسلامية وبين إكراهات وضغوط الواقع الذي يمتحن دينهم ويضعهم في قفص الاتهام!

ها نحن في زمن استضعاف، وكثير من الناس، بمن فيهم محسوبون على المشيخة والعلماء يعملون بكل جد واجتهاد في إنتاج نسخة من الإسلام توافق الثقافة الغربية الحديثة ذات السطوة والهيمنة، ويمكنك ببساطة أن تعرف هؤلاء من طريقتهم في التعامل مع النصوص.. فإذا كثر في كلامه رد النص أو تأويله أو تمييعه أو صرفه عن وجهه إلى معانٍ أخرى فأغلب الظن أن هذا من هؤلاء الذين نتحدث عنهم.

لنضرب مثليْن

(1) حين سادت الثقافة الشيوعية الاشتراكية في بلادنا، اضطر جمهرة من المشايخ والعلماء إلى بيان ما في الإسلام من عدالة اجتماعية وتكافل ومحاربة للغنى الفاحش وفرض للزكاة على الأغنياء باعتبارها حقا للفقراء، وافتخروا بأن أبا بكر حارب مانعي الزكاة لأنها حق الله الذي قرره للفقير.

إلى هذا الحد والأمر مفهوم وطبيعي وهو استجابة للتحدي الشيوعي.. لكن المؤسف أن بعضهم زاد في الانحراف فزعم مثلا أن رأي أبا ذر (وقد كان يرى ألا يحتفظ المرء إلا بقوت يومه، وما زاد على هذا فهو اكتناز) هو منهج الإسلام مع أن أبا ذر هو المخالف في هذه المسألة لبقية الصحابة، فعمدوا إلى رفع قول أبي ذر وتعظيمه، فصار مخالفوه هم المخطئون، وصار هو وحده المصيب. وهي نتيجة عظيمة ترمي جمهرة الصحابة والتابعين بحب الدنيا والانحراف عن الإسلام. ثم منهم من زاد في الانحراف مزيدا فجعل تمردا دمويا قبيحا شنيعا انتهك الأعراض وأسرف في الدماء كثورة الزنج ثورة مشروعة، وصار زعيمها ثوريا مطالبا بحق الفقراء في وجه السلطة المترفة!!

(2) فأمــا حين انتصرت الرأسمالية الليبرالية ورفعت شعارات حقوق الإنسان فقد تغير التحدي، وصارت الثقافة الغالبة تنحو منحى آخر، فهنا كان طبيعيا أن ينتج العلماء خطابا يظهر أثر الإسلام في تحرر البشر وفي كفالته للحرية والخصوصية والحق في التعبير والاعتراض في وجه الحكام ورفعه لشأن المرأة وما وفره لها من حقوق وما قيَّد فيه السلطة لئلا تستبد.. إلخ!

أيضا إلى هنا والأمر مفهوم، وهو الواجب الطبيعي في ظل التحدي.. لكن المؤسف أن بعضهم زاد في الانحراف ليجعل من ضمن الحريات الشخصية التي يكفلها الإسلام حق الردة فاجتهد في نفي حد الردة وتأويل ما جاء فيه، وفي نفي الرجم للزاني المحصن.. بل زاد آخرون فجعلوا من حقوق المرء حقه في اللواط فقالوا بأنه لا ينبغي للدولة أن تعاقب على مثل هذا لأنه من الحرية، وكذلك ترك الصلاة والمجاهرة بالفطر في نهار رمضان وحق المرأة في أن ترتدي الحجاب أو تخلعه أو تسافر بمحرم أو بغير محرم... وهكذا!

ولدى هؤلاء صارت مسائل كجهاد الطلب أو كحرب أبي بكر للمرتدين ومانعي الزكاة أو لضرب عمر لبعض الناس بالدرة أو غير ذلك من المسائل التي ترفضها "الثقافة الغالبة" من الأمور الحرجة التي يعانون في ردها وصرفها وتأويلها على غير وجهها وإنتاج فتاوى تجعلها من خصوصيات الزمان والمكان السابقين.

لا شك أن هناك من انحرف أكثر من هذا وأكثر فجعل كل السنة نصا تاريخيا، بمعنى أنه إنتاج بشري من الرسول متعلق بآثار الزمان والمكان والبيئة والطبيعة الشخصية، فليست له قداسة الوحي.. وهناك من انحرف فجعل القرآن نفسه نصا تاريخيا ناتجا عن البيئة ولا يمكن أن يكون ملبيا لحاجات الناس بعد نزوله بألف وخمسمائة سنة وفي بيئة تغيرت تماما عن بيئة العرب!



وهكذا نشأت غابة ضخمة من آثار الثقافة الغالبة، الثقافة ذات السطوة والحضور والسلاح والإعلام، فمنهم من كان صريحا ومباشرا في تطويع الإسلام لها ودعوته لهذا كالعلمانيين، ومنهم من تلبس ببعض هذا حتى وصل به الحال أن يلبس العلمانية ثوبا إسلاميا، يتوسل إلى هذا بعناوين عريضة منها: المقاصد الشرعية ودلالة اللغة وحجية السنة وتقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية وحجية تصرفات النبي في السياسة والتجديد في الأصول والتجديد في الفقه... إلى آخر هذه العناوين التي بعضها حق لا شك وقد وضعها العلماء أصلا لضبط الدين وفهم أحكامه ورسم بنيانه وإرشاد المفتي والقاضي إلى سواء السبيل، فجاء هؤلاء فأخرجوها عن المقصد من وضعها لتكون وسيلة لتمييع الدين وتفكيكه وإذابته وإخضاعه للثقافة الغالبة المعاصرة.

كيف نعرف هؤلاء؟!

نعرفهم في لحن القول.. ذلك أن الذي يتعامل مع نص القرآن أو السنة باعتباره هاديا يخالف الذي يتعامل معه باعتباره أزمة، أولئك الذين نتحدث عنهم يظهر في كلامهم بوضوح التعامل مع النص وكأنه أزمة، فيجتهد في التخلص منه وإهداره:

- فإن كان النص قول عالم أو فقيه مهما بلغ مقامه من الإمامة تحول إلى ناقد متشدد وقال: ليس هو بالمعصوم، واجتهد في البحث عما يعارضه.. لا للوصول إلى ترجيح في المسألة بل لضرب الأقول المتعارضة بعضها ببعض ليسهل عليه إخراج قول لم يقل به أحد من أهل العلم!

- فإن كان النص قول صحابي تحول إلى ظاهري متشدد وقال: ليس لأحد حجة دون رسول الله. فإن كان الرأي في المسألة إجماعا من الصحابة لا قول واحد منهم تحول إلى منطقي متشدد في ثوب أصولي متشدد يتحدث عن حجية الإجماع وإمكانية وقوعه، أو صار حنبليا متشددا يرفع قول أحمد: من ادعى الإجماع فقد كذب (وهي قوله لا يفقه معناها كما قاله أحمد نفسه).

- فإن كان النص في السنة تحول إلى محدث متشدد لا يقبل ما يتطرق إليه أقل الضعف، فإن كان النص صحيحا اجتهد في تأويله وصرف معناه إلى معنى آخر، ودخل في سبيل الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد لا لكي يضبط المسألة وينزل النص عليها بل ليجعل النص بلا حجة ولا إلزام.

■ فإن كان النص في القرآن فربما تحول إلى لغوي متشدد يقيس ألفاظ القرآن (حتى ما صار منها مصطلحا له دلالة شرعية) على معجم لغة العرب، ونعى على المفسرين مناهجهم في التفسير ووجود الضعيف في تفاسيرهم، وتوسع في دلالة اللفظ على المعنى.. لا للوصول إلى المعنى المطلوب بل لرفع دلالة الآية.

هذا بخلاف ما يقع كثيرا من إيراد نصوص مع السكوت على الرد على ما يخالفها (وهو منهج الفقهاء الذي يتوصلون به لضبط المسائل وإنزال النصوص في مواضعها)، أو إيراد بعض النصوص مع تغييب النصوص المخالفة لرأيه، أو البحث عن مخالفات وشذوذات العلماء والفرق ليتكون منها فقه جديد لا يعرف من قبل، أو رفع شعار المصلحة (التي لم تعد المصلحة الشرعية التي أرادها علماء الأصول) ليكون الهوى هو المصلحة، أو رفع شعار المقاصد لإهدار النصوص باعتبار المقاصد كلية والنصوص جزئية (بينما العلماء استخرجوا المقاصد نفسها من النصوص)... وهكذا!

لهذا نقـــول بـــأن هؤلاء لو استطاعـــوا أن يحرفوا القرآن لحرفوه، وربما ظنوا أنهم يؤدون بهذا خدمة للإسلام بتجنبيه العداء مثلا أو حمايته في لحظة الضعف مثلا أو غير ذلك مما يسوله المرء لنفسه.. ولهذا كان حفظ القرآن هو نعمة الله العظمى على الأمة! وكان حفظه -تبارك وتعالى- لسنة نبيه بعمل الجهابذة المحدثين الذين بذلوا مجهودا خرافيا لم تبذله أمة قط في تاريخها هو نعمة عظمى على الأمة أيضا.. نعمة حفظت الدين وصانته عن أيدي العابثين مهما كانوا مهزومين.



وهنا يأتي السؤال الذي أحسب أنه طاف برأس قارئ هذه المجلة التي ليست مجلة علم ولا فقه ولا دخل لها بهذا الاشتباك.. وهو: ما مناسبة كل هذا الكلام في مجلة كمجلة "كلمة حق" ؟

والجواب ببساطة ووضوح شديد: أننا إذا كنا نتحدث في سياق ثورة أمة ومواجهة طغيان ومقاومة استبداد وتحدي الثقافة الغالبة بسلاحها وأفكارها، فأول خطوات هذا كله أن نقرأ ديننا قراءة من يريد فهم الدين كما هو لا من يريد أن يتصالح به مع الواقع.

إن أول الواجب لأهل الثورة والمقاومة: مطالعة فقه النبي في البحث عن دولة، وتأسيسها، ومقاومة خصومه داخلها وخارجها، ثم جهاده لتثبيتها وترسيخها، ثم معاهداته ثم دعوته العالمية ثم جهاده خارجها. وإن مطالعة هذا كله بروح وغرض من يريد الفهم والاقتداء سيثمر ثمرة لا علاقة لها أبدا بمن سيطالع هذا كله بروح وغرض من يريد إقناع خصومه أن الإسلام دين جميل ورحيم وإنساني... إلخ! نعم! الإسلام دين عظيم وجميل ورحيم وإنساني لكن بغير المعاني التي يفهمها الغربيون من كل هذا. فمحاولة حشر الإسلام في القالب الذي يفهمه الغربي ليست فقط محاولة تزوير بل هي ضربة في صميم فكرة الدعوة نفسها.. فلماذا ندعو الغربي إلى شيء هو يظن أن حضارته تنتجه مع إلحادها؟!

ثم مطالعة سير الراشدين: حرب أبي بكر للمرتدين ومانعي الزكاة، وهي كنز دروس ساطعة جامعة في تأسيس الدولة وسط أمواج المتربصين بها، وفيها من المواقف ما لا يفهمه إلا السياسي المجرب الخبير بينما الداعية اللطيف المتأنسن المتفلسف لا يستطيع ابتلاعها.. وكذا سيرة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعا!

وبعد هذا تأتي سيرة مؤسسي الدول، وأولى السير التي ينبغي أن نقتدي بها سير أجدادنا الذين أسسوا الدول العظمى: معاوية وعبد الملك بن مروان وأبو العباس وأبو جعفر وهارون الرشيد والمعتضد وعثمان بن أرطغرل، فضلا عن مؤسسي الدول الأصغر كعبد الرحمن الداخل وإبراهيم الأغلبي وابن طولون ونور الدين زنكي وصلاح الدين وقطز وبيبرس.. وكل هؤلاء مع ما فيهم من أخطاء أعلى شرفا وأحسن أخلاقا وأقوم طريقة من كل مؤسسي الدول الأخرى الذين يقدمون كقدوات ومُثُل! بل إن أخطائهم لم تصر أصلا أخطاء إلا لأننا نحاكمهم إلى الإسلام وإلى سيرة الراشدين، ولو أنهم كانوا في سياق حضارة أخرى وتاريخ آخر لكانت قُوِّمت على أنها ضرورات وخسائر لا بد منها في الطريق إلى بناء المجد!

"الواجب الأول ألا نستحيي من ديننا وألا نحاكمه إلى ثقافة غالبة مهيمنة تأثرنا بها.. بل لا بد من فهم الدين كما أراده الله ورسوله، ساعتها سنستطيع أن نبدأ مقاومة راشدة حقيقية!"

حروب الأنفاق.. تفوق المستضعفين

عبد الغني مزوز



يشكل التفوق التقني الهائل للقوى الكبرى المهيمنة أكبر التحديات التي اعترضت حروب التحرير الشعبية والثورات المسلحة في عصرنا، إذ لا يمكن مقارنة مستوى التقدم التكنولوجي والحربي لهذه القوى بذلك الذي تتمتع به المجموعات والكيانات المتمردة على سيطرتها الساعية للتحرر من هيمنتها واحتلالها، لكن ما فتئت عقلية المستضعفين الخلاقة تبدع مناهج المواجهة وأساليب التصدي والنكاية في قوى الجبر والاحتلال، مكنتهم في النهاية إما من الانتصار ودحر الغزاة أو الصمود في وجههم واستنزافهم في مقاومة مستدامة ستسفر لا محالة عن هزيمتهم في يوم من الأيام.

تقوم فلسفة حروب المستضعفين على تحييد التفوق التقني والتكنولوجي للعدو من خلال اللجوء إلى أساليب بدائية في المواجهة والحركة والتواصل، فمثلا تحييد قدرة العدو الجبارة على اعتراض الرسائل والمكالمات وتفكيك الشفرات وكشف البصمة الصوتية واختراق أجهزة الاتصال المختلفة يتم عبر اعتماد نظام تواصلي يتجنب توظيف التكنولوجيا الحديثة، كتوصيل الرسائل باليد أو استخدام منصات وأجهزة لا تُستعمل عادة في التواصل ولا تخضع بسبب ذلك للرصد والمراقبة [(1)].

> "وإذا كان العدو يسعى لفرض سيطرته على الأرض وإقامة القواعد العسكرية الضخمة، ونشر الجنود والآليات في الأحياء والمدن، فحروب المستضعفين تقوم على اللا سيطرة وتجنب إقامة قواعد ومقرات عسكرية ثابتة وقابلة للرصد والملاحظة. وإذا كان العدو قد طور طائرات مقاتلة وأقمار اصطناعية فرض بها سيطرته على الأجواء ورصد بها ما يجري على سطح الأرض، فإن المستضعفين قد شقوا لأنفسهم أخاديد وأنفاق في باطن الأرض، وحيدوا بها ترسانة تكنلوجية كلفت ملايير الدولارات، وسنوات طويلة من الأبحاث والتطوير، مجسدين بذلك الحكمة الصينية القديمة " عندما تكون قويا انقض من أعلى مثل العقاب وعندما تكون ضعيفا احفر عميقا في باطن الأرض". "



(1) فاجأ تنظيم داعش المخابرات البلجيكية عندما استخدم ألعاب الفيديو " بلاي ستيشن" للتواصل مع منفذي هجمات باريس.
http://www.huffpostarabi.com/2015/11/16/story_n_8574608.html

سنتحدث في هذه المقالة عن الأنفاق الحربية وأنواعها وكيف ساهمت في حسم بعض الصراعات الحديثة، وأهميتها لحروب المستضعفين.

يمكن تعريف الأنفاق بأنها : عبارة عن ممرات أرضية تستخدم لقطع مسافات يصعب التحرك فيها فوق الأرض لتحقيق مبدأ التماس مع العدو أو الامداد والانتقال من مكان لآخر، حسب نشرة لكتائب عز الدين القسام غير متاحة للعموم [(2)] .

تنقسم الأنفاق الحربية إلى عدة أنواع تبعا لاستخداماتها وأغراض حفرها، ويمكن حصرها في ثلاثة أنواع :

- أنفاق هجومية
- أنفاق دفاعية
- أنفاق لوجستية

وهناك أنفاق أخرى تستخدم في مناطق الحروب لكن أهدافها إنسانية ومدنية محضة.



الأنفاق الهجومية

ويتم استخدامها للوصول إلى عمق مواقع العدو، بهدف القيام بعمليات سريعة هناك، وخطف أفراده وعناصره، وتفخيخ المقرات ومخازن السلاح، وتستخدم الأنفاق الهجومية أيضا في عمليات القصف بالهاون والصواريخ لتجنب رصدها قواعدها من طيران الاستطلاع. وبواسطة هذا النوع من الأنفاق يتم الالتفاف حول قوات العدو والتسلل إلى قواعده الخلفية. وفي بعض الأحيان تُحفر الأنفاق تحت المقرات والقواعد العسكرية فيجري تفجيرها بعد تلغيمها بالمواد المتفجرة.



الأنفاق الدفاعية

وتُستخدم الأنفاق الدفاعية في امتصاص كثافة النيران، وكمون المقاتلين في انتظار تقدم القوات المهاجمة، كما تستخدم كمخابئ وأماكن اجتماع القادة، وكممرات للتنقل واجتياز المساحات المكشوفة ناريا واستطلاعيا للعدو. وتزداد أهمية هذا النوع من الأنفاق في حالة اعتماد العدو على سلاح الطيران والمسح الجوي لرصد واستهداف أية حركة غير عادية على الأرض.

(2) رامي أبو زبيدة، استراتيجية الأنفاق لدى المقاومة الفلسطينية في إدارة حرب غزة 2014م (رسالة ماجستير) ص 57



الأنفاق اللوجستية

وهــي الأنفــاق التــي يُلجــأ إليها بهدف تأمين الإمدادات اللازمة لاستمرار المعارك؛ من أسلحة ومعدات عسكرية ومواد غذائية وطبية وغيرها، وغالبا ما تكون وسيلة لربط الجبهات المحاصرة بالجبهات المفتوحة، وهي بمثابة شرايين الحياة لهذه الجبهات إذ لا تستطيع الصمود وتوفير متطلبات المعركة من دونها.

> " لا يمكن الحديث عن حروب التحرير المعاصرة واستراتيجياتها وأساليبها وعوامل نجاحها دون الحديث عن "الأنفاق الحربية" ودورها في تغيير موازين هذه الحروب وبلورة نتائجها التي حددت لاحقا معالم الخريطة السياسية للعالم، ولا زالت الأنفاق الحربية رقما صعبا في الثورات الشعبية المسلحة وحروب التحرير والاستقلال إلى اليوم. تتطور أساليب حفرها وهندستها وتتطور معها طرق اكتشافها وتدميرها والحد من تأثيرها؛ ابتداء من إنشاء الولايات المتحدة الامريكية لوحدة "جرذان الأنفاق" المتخصصة في كشف أنفاق الفيتكونغ إبان الحرب الفيتنامية وانتهاء بمشروع "المجرفة الحديدية" التي يقال إن إسرائيل تشتغل عليه لوضع حد لرعب أنفاق المقاومة الإسلامية في غزة. "



أنفاق كوتشي

تعتبر حرب الأنفاق في الثورة الفيتنامية أوضح تعبير عن انسجام الإنسان الفيتنامي المقاتل مع الطبيعة الفيتنامية واستغلاله التام للإمكانيات المتوفرة فيها في مواجهة الجنود والأسلحة والآليات من جانب، وفي تجنب أو الحد من آثار الغازات والقنابل الدخانية من جانب آخر [3] .

تقع مقاطعة كوتشي CU CHE على بعد 70 كيلومترا إلى الشمال الغربي من العاصمة سايغون، وتقع وسط أربعة قواعد عسكرية هامة، وموقعها الاستراتيجي هذا منح للأنفاق التي حفرت تحتها دورا محوريا في عملية دخول الفيتكونج للعاصمة سايغون ودحر القوات الأمريكية الغازية.

امتــدت ممــرات وأنفــاق كوتشــي مسافة تصل إلى 200 ميل، وكانت عبارة عن قرية مصغرة مبنية تحت الأرض، وكانت هذه الأنفاق تؤوي العشرات من القرويين ومواشيهم خلال فترات القصف الشديد الذي تتعرض له المقاطعة، ولمواجهة آثار القنابل الثقيلة وقاذفات B52 روعيت خلال بناء الأنفاق مواصفات خاصة بحيث تكون على عمق 12 مترا، وأن تتوفر على منافذ كافية للتهوية، ويمتد بعضها تحت مناطق ومراكز تابعة للقيادة الأمريكية أو السايجونية لتجنب القصف [4].

وبإمكان هذه الأنفاق أن تتحمل ضغط القنابل من 500 رطل [5] .

اشتهرت كوتشي عالميا بعد قرار الولايات المتحدة الرد على عملية للثوار في المنطقة، حيث استخدمت قاذفات B52 ، وطائرات إنزال ومروحيات و170 ألف قذيفة مدفعية، وآلاف الجنود من المظليين والمشاة والصاعقة الاستوائية، واستمرت العملية 11 يوما دون أن تدمر أنفاق كوتشي كما وعدت القيادة الأمريكية، وبعد عامين من العملية انقض ثوار كوتشي على العاصمة سايغون وأعلنوا انتصار الثورة الفيتنامية.

(3) علي فياض، التجربة الفيتنامية ص 335
(4) المصدر السابق 73
(5) روبرت تابر، حرب المستضعفين، ص 72



أنفاق خوست

يحلو للبعض أن يعزو انتصار المجاهدين الأفغان على الاتحاد السوفييتي إلى الأسلحة والمعدات التي كانت تدعمهم بها الولايات المتحدة الأمريكية، بل إن من هذا البعض من يختزل ملحة الجهاد الأفغاني بصواريخ "ستينغر" الأمريكية. بينما شواهد الواقع والتاريخ تقول إن الشعب الأفغاني حساس جدا تجاه الغزاة، ويبدل في سبيل التصدي لهم كل ما يملكه من طاقة وقوة، سواء كان هذا العدو شرقيا أم غربيا، ولا يزال إلى يومنا هذا يحارب قوات الناتو التي احتلت أرضه منذ 17 عاما دون أن يتلقى دعما معتبرا من أحد.

استغل الشعب الأفغاني تضاريس بلاده في التصدي للغزاة والمحتلين، وحفر أنفاقا تحت الأرض وكهوفا في قمم الجبال ليعزز صموده ومقاومته.

كانت معركة خوست خارج برنامج الدعم الغربي للجهاد الأفغاني، لأن الاتحاد السوفياتي خرج من أفغانستان قبلها بسنتين تقريبا، لكنه ظل يدعم حكومة نجيب الله ويوفر لها الاسناد اللازم لتفرض سيطرتها على مدن البلاد. ومعركة خوست كانت تعبيرا عن إرادة الأفغان في التحرر من فلول النظام الشيوعي وكذا والوصاية الغربية وبالتالي سعى الجميع لإفشالها.

تحدث أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) في كتابة فتح خوست عن دور أعمال الحفر التي قام بها المقاتلون الأفغان في حسم المعركة لصالحهم، وكيف أنها كانت سببا في تحييد سلاح الجو وتجريده من فاعليته، كانت أعمال حفر الأنفاق والكهوف في خوست يتولاها مجموعة من الشباب مكلفون خصيصا بهذه المهمة سماهم مصطفى حامد (شركة وردك للحفريات) [6] وكان لهم دور بارز في انتصارات خوست.



(6) مصطفى حامد، فتح خوست ص 27

استخـــدمت المقـــاومة الأفغـــانية أدوات بدائية في عمليات الحفر وشق الأخاديد في الصخور وحفر الكهوف في قمم الجبال، وكانت هذه الكهوف والأخاديد تحصينات منيعة لم تحيد سلاح الجو بمختلف أنواعه وأصنافه فقط بل حيدت أيضا كل الآليات والعربات الثقيلة التي استقدمها الاتحاد السوفييتي وبعده حلف الناتو إلى بلاد الأفغان. فاكتفى الغزاة بالسيطرة على المدن الرئيسية تاركين الأرياف والمديريات النائية بأيدي المقاومة الأفغانية.

وقد استخدمت الولايات المتحدة مؤخرا ما سمتها بأم القنابل وهي أفتك قنبلة بعد القنبلة النووية لتدمير التحصينات الأفغانية لكن دون جدوى.



نفق سراييفو

أطبق الصرب حصارهم الخانق على مدينة سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك مطلع عام 1992، واستمر الحصار أكثر من ثلاث سنوات، عاش خلالها أهل سراييفو أهوالا لا توصف، ورأوا الموت البطيء يزحف إليهم مع مرور كل يوم من الحصار، عانت المقاومة البوسنية من الحصار حيت لا سلاح ولا ذخيرة ولا إمدادات، وتزامن الحصار مع حملات قصف شديدة شنها الصرب على المدينة من المرتفعات والجبال المحيطة بها. ووقف العالم يشاهد احتضار مدينة مسلمة دون أن يحرك ساكنا.

أشـار مهاجد عـربي (أبو عمر المصري) قـدم من أفغانستان وكان شاهـدا على حروب الأنفاق هناك؛ أشار على أهل المدينة بحفر نفق يمتد إلى خارجها لكسر الحصار وإدخال السلاح والإمدادات الغذائية والطبية إلى الأهالي المنكوبين. استغرب الناس من الفكرة ورأوها مستحيلة التحقق، لكنها كانت شاهدة على إرادة الصمود والمقاومة من شعب أعزل ومحاصر، فكان أن أطلقوا على النفق اسم " نفق الأمل ".

استغـــرق حفر النفق 6 أشهـــر وكـــان ممرا أرضيا ممتدا على مسافة 800 متر ومدعما بـ 170 مترا مكعبا من الأخشاب. يمر عبر النفق يوميا ما يقارب 3000 شخص 30 طنا من المواد الغذائية والتموينية، والأهم من كل ذلك مكن النفق من تسليح البوسنيين المحاصرين وإمدادهم بالذخيرة الكافية للصمود والمقاومة [7] .

(7) البوسنة بالعربي، قصة نفق الأمل وتاريخه، http://www.arbosnia.com/sarajevo-tunnel-story-and-importance/

ربما لم تشعر إسرائيل بالرعب في تاريخ صراعها مع العرب كما تشعر به اتجاه أنفاق غزة، وإذا كانت القبة الحديدية أشعرت الإسرائيليين ببعض الأمل في إمكانية إيجاد حل لصواريخ المقاومة، فإنها ليست متأكدة من إمكانية إيجاد حل مجدي لرعب الأنفاق، فكل الدراسات والأبحاث التي تقوم بها في هذا الإطار لا تثق تماما في نتائجها كما يقول الباحث المتخصص في أنفاق المقاومة رامي أبو زبيدة[8]، خصوصا وهذه الأنفاق تشهد تطورا متواصلا في تقنيات حفرها وتمويهها وتجهيزها لتعزز فعاليتها ونجاعتها.

خاضت المقاومة الإسلامية في غزة حربا شرسة مع أقوى جيش في المنطقة، واستطاعت الصمود وتكبيده خسائر فادحة، وأسر جنوده بفضل توظيفها المتقن للأنفاق والممرات الأرضية، كما حافظت المقاومة على قادتها وكوادرها بعيدا عن الاغتيال والاستهداف في فترة اشتداد المواجهات، بل إنهم أداروا المعركة بكفاءة واقتدار في مقراتهم الأرضية الحصينة.

(8) ننوه إلى أهمية الاطلاع على الدراسة التي أنجزها الباحث رامي أبو زبيدة حول " استراتيجية الأنفاق لدى المقاومة الفلسطينية في إدارة حرب غزة2014م " وهي عبارة عن رسالة ماجستير تطرق فيها الباحث إلى كل ما له علاقة بأنفاق المقاومة في غزة وختمها بمجموعة من التوصيات المفيدة في مجال حفر الأنفاق. والدراسة متاحة للتحميل في هذا الرابط http://mpa.edu.ps/uploads/120110244.pdf

استخدمت المقاومة في غزة الأنفاق للدعم والإمداد، والتسلل إلى خلف خطوط العدو والوصول إلى عمق مناطقه، واستخدمتها كمنصات لإطلاق القذائف والصواريخ. وتمكنت في 2006 من أسر الجندي جلعاد شاليط وتهريبه إلى داخل القطاع عبر أحد الأنفاق. ولا تزال المقاومة تبدع في تكتيكات الأنفاق وتراهن عليها في صناعة التفوق أمام ترسانة الجيش الإسرائيلي الذي قيل يوما إنه لا يُقهر!!

دفعــت أعمــال التطوير المفاجئة في تقنيات المقاومة التي تجلت في حرب الأنفاق، المراسل العسكري "روني دانيئيل" في التلفزيون الإسرائيلي للقول: "يبدو أننا خسرنا صراع الأدمغة في مواجهة حماس"، واتهم محللون عسكريون الجيش الإسرائيلي بالبطء والتأخر في البحث عن الحلول التكنولوجية والميدانية الملائمة لمشكلة الأنفاق وتطبيقها، رغم أن قادته أخذوا يتحدثون عنها منذ مدة من الزمن، باعتبارها سلاحا "يخرق التوازن"، وقد يخرج الجيش في غزة عن أطواره واتزانه، لكن هذا الأمر لم يقُد إلى "خياطة البدلة الملائمة لمواجهة تهديد الأنفاق".



(9) أنفاق غزة، ساحة المواجهة القادمة، الجزيرة نت،
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/1/31/%D8%A3%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%82%D8%BA%D8%B2
%D8%A9-%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88% D8%A7%D8%AC%D9%87%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%



حفر الأنفاق ليس تكتيكا أو أسلوبا حربيا فقط يلجأ إليه المستضعفون عند الضرورة الملحة بل هو سلاح استراتيجي قادر على قلب موازين القوى، وصياغة معادلات صراعية جديدة تصنع التفوق وتدفع في اتجاه الحسم أو تضع بنية تحتية متماسكة لمقاومة مستدامة.

إن حفر نفق استراتيجي يشبه بناء غواصة أو سفينة مدمرة. لقد أبدت المقاومة في غزة استعدادها لوضع خبرتها في مجال الأنفاق رهن إشارة الحركات الثورية، وقد ساعدت كتائب القسام ثوار سوريا في حفر الأنفاق وتجويدها. ولا يكفي هذا بل يجب أن تتفرغ لجنة تضم مهندسين وخبراء في الجيولوجيا لتطوير هذا المجال الحيوي بالنسبة لمعارك المستضعفين، وبعث متخصصين لزيارة أنفاق سوتشي وسراييفو لجمع المعلومات والملاحظات حولها وهي مفتوحة للسياح والزوار على مدار السنة. إن أول ما ينبغي التفكير فيه عند السيطرة على أي مدينة أو قرية استراتيجية هو وضع مخطط هندسي للأنفاق والممرات والمباشرة إلى حفرها تعزيزا لمناعتها ومقاومتها واستعدادا لأي حصار قد يفرض عليها، وتوفيرا للملاجئ والأماكن الآمنة للمدنيين والثوار في حالات القصف الشديد.

نحو تفكيك الأنظمة القضائية الحديثة

محمد وفيق زين العابدين

"القضاء أحد سلطات الدولة العامة التي يُباشرها أشخاص (القضاة) بهدف تحقيق سيادة الدولة (القانون) على المصالح المتنازعة في العلاقات الاجتماعية."



لكنه ليس الشكل الوحيد للفصل في الخصومات، بل أشكال تسوية منازعات المجتمع البشري قديمة قدم المجتمع نفسه، فحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت أنظمة الحُكم التقليدية التي تمارسها النُخب والمجالس العرفية تُمثل الصور الأغلب شيوعًا، إلى أن أحكمت الدولة الحديثة قبضتها على كل ما يتعلق بالفصل في الأقضية، ومع دخول القرن التاسع عشر قُوضت كل الأنظمة الأخرى بسبب الرغبة السياسية الجامحة للدولة في تحكيم قوانينها وفرض سيادتها، ووأدًا لنمو أي نظام قانوني من جديد على حساب "النظام القانوني النابليوني" الذي لم يكن مجرد خطوة في بناء الدولة الحديثة وتعزيز نفوذها على المجتمع، بل كان في الواقع تأسيس للنظام القانوني العالمي.

" وبرغم المكانة الكبيرة التي اكتسبتها الأنظمة القضائية الحديثة - على اختلاف صورها - والخطوات التي قطعتها في التطور في القرن التاسع عشر، إلا أنها تعرضت لتهديد شديد في النصف الأول من القرن العشرين، حيث استطاعت بؤر الأنظمة التقليدية - التي كانت متبقية في نواح متناثرة من العالم ضعيفة البنية الحداثية - الاستفادة من تكلس القوانين وبيروقراطية المحاكم، فتركت آثارًا أكثر كفاءة وفعالية من حيث سرعة الفصل ومرونة الإجراءات وعدالة النتائج، الأمر الذي عَرض مصالح وسُبل معيشة الذين يعتمدون على نظام المحاكم لخطر حقيقي. "



ذلك أن الـفارق الجوهري بيـن الأنـظمة القضائـية الحـديثة والتقليدية في علاقتهما بالمجتمع، يكمن في أن الأولى تُعيد إنتاج المجتمع من جهة القانون، والثانية تُعيد إنتاج القانون من جهة المجتمع، فالأنظمة التقليدية تُنتج القواعد الملائمة للحاجات الاجتماعية وتراعي مصالحها الحقيقية أكثر من اعتبار مصالح الدولة (أو بعبارة أدق مصالح السُّلطة).

ولنأخذ نموذجًا واحدًا من نماذج الأنظمة التقليدية وهو "التحكيم"، فإن عودة المجتمعات الحديثة إليه، إنما كان باعتباره عقد مسمى يخضع للنظرية العامة للعقود[1] بغض النظر عما آل إليه الأمر بعد ذلك من إخضاعه للنظام السياسي للدولة؛ فأساس وظيفة "التحكيم" اجتماعي، بينما أساس وظيفة "القضاء" سياسي[2] ، ولذلك نجد أن أهم ما يُميز "التحكيم": الإرادة والحرية، إرادة وحرية تمنحان الفرد حق اختيار قاضيه وحق تحديد ضمانات التقاضي وحق ابتكار الإجراءات التي يراها أكثر ملائمة له وأخيرًا حق تنفيذ الحُكم، وهي أربعة حقوق رئيسية لا يتمتع بها الأفراد في القضاء العادي.

ويرجع هذا الاختلاف إلى مركزية القوانين في الدولة الحديثة، والتي تكتسب بموجبها الدولة مركزيتها الحقيقية على حساب المجتمع، ولذلك كان لابُد للقوانين كما يقول HiréplaH أن تقمع - أو بالأحرى تحاول قمع - النظم العرفية وجميع التعدديات التي تشكل مصادر لنظم قانونية مستقلة عن الدولة، بُغية الحفاظ على بقاء هذه الدولة واستمرارها[3].

بل ذهبت لأكثر من ذلك حين تبنت ما يُعرف بالنظام القانوني المُقيد، الذي لا يمتلك فيه القضاة أدنى حرية في تقدير أدلة الإثبات، بقصد الحد من سُلطتهم، كما في النظم القانونية "الأنجلوسكسونية"، ليبلغ بذلك احتكار الدولة للنظام القضائي ذروته، فلا يملك حتى القضاة أنفسهم حق تطوير القواعد القانونية أو تغييرها إذا كانت غير ملائمة.

---

(1) وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل عدد كبير من أساتذة وفلاسفة القانون في فرنسا وإيطاليا ومصر في منتصف القرن الماضي يقولون بالطبيعة العقدية للتحكيم، عكس ما ساد لاحقًا في الفقه القانوني وأحكام المحاكم من اعتبار طبيعته قضائية، ثم تحول النظرة إلى التوفيق بين الطبيعتين للتحكيم باعتباره يبدأ باتفاق الأطراف وينتهي بحكم قضائي، أو بعبارة أخرى يبدأ عقدًا وينتهي قضاءً.

(2) لأن كل ما يهم القاضي - في الغالب - هو إنزال حكم القانون على النزاع المعروض، بصرف النظر عن أثر هذا على مستقبل علاقات المتنازعين ومصالحهم، التي قد تتغير وتتبدل بل قد تتلاقى بمرور الزمن.

وبهذا يختلف القضاء تمامًا عن الأنظمة التقليدية - كما الوساطة أو التوفيق أو التسوية أو التفويض بالصلح - التي تسعى في الأساس لتقريب وجهات النظر أو إيجاد الحل الأكثر توفيقًا بين الأطراف المتنازعة، لتحقيق مصالح الجميع، وهو ما يعني في الحقيقة تعطيل أحكام القانون

(3) Five Legal Revolutions Since the 17th Century, Springer International Publishing Switzerland, 2014, P. 36.

وبرغم ذلك، فإن النظم القضائية الحديثة لم تصمد أمام النظم التقليدية التي استعادت هيبتها وحضورها[4] ، على مستوى المؤسسات في المدن والمراكز الحضارية، وعلى مستوى الأفراد في القرى والمراكز الريفية.

في الحقيقة يُمكن إرجاع ذلك لعاملين رئيسيين

الأول: قدر الثقة الذي انتزعته النظم التقليدية من النظم الحديثة.

فإن سر بقاء أي نظام قضائي واستمراره هو "الثقة"، ولذلك تحرص الأنظمة السياسية المتقدمة دومًا على الحفاظ على ثقة الجمهور في قضائها، أكثر من غيره من السلطات العامة، لأن تآكل هذه الثقة العامة يُقوض النظام القانوني للدولة ذاته، ويُؤدي مع مرور الوقت إما إلى الفوضى باستيفاء الناس الحقوق اعتمادًا على القوة والقهر، وإما إلى تعددية النظم القانونية بفزعهم إلى النظم التقليدية من وسائل فض النزاعات، وهو وجه السر في المقولة الشهيرة لبعض فلاسفة القانون؛ "العدالة تتجذر في الثقة".

الثاني: قدر مطابقة كل منها[5] للمصالح الحيوية للمجتمع.

فصلاحية القانون نفسه رهن موازنته بين مكونات المجتمع المختلفة وحفاظه على المصالح الحيوية فيه، وحين لا يعود القانون يطابق المصالح الحيوية للمجتمع، فإنه كما يقول نجيب بودربالة: "يُصبح من المشروع التخلي عن العمل به وتطبيقه [6] " .

---

(4) بل بلغت هذه الهيبة وهذا الحضور مبلغًا كبيرًا في بعض المشاهد، مثل:

- تجربة المحاكم الإسلامية في الصومال، مع الأخذ في الاعتبار أن المحاكم في التجربة الصومالية لم تكن وليدة تفاعل العاملين القانوني والاجتماعي مع بعضهما فقط، بل إلى جانب ذلك كان من العوامل التي دعمتها وهي الأهم: تفكك النظام السياسي والتعبئة الشعبية ضد التدخل الأجنبي في الشأن الصومالي، وهو ما يخرجها نوعًا ما عن نطاق البحث الذي نحن بصدده.
- تجربة مراكز التحكيم الإسلامية في أوروبا، والتي تختص بالفصل في الشئون الأسرية والمدنية للمسلمين ، وحسب تصريح قرأته منذ عدة سنوات لدينيس ماكيون المختص في الشئون الإسلامية ببريطانيا - بلغت على مستوى بريطانيا وحدها نحو خمسة وثمانين مركزًا، ونفس الحال أو قريبًا منه في فرنسا وفي الولايات المتحدة، غير أن هذه التجربة أيضًا لها عوامل دينية وأيديولوجية تبعدها عن نطاق بحثنا.

(5) أي النظم التقليدية والحديثة.

(6) القانون بين القبيلة والأُمة والدولة، ترجمة محمد زرنين، دار أفريقيا الشرق (الدار البيضاء)، طبعة 2015 م، ص 306 .

بالنظر إلى ما سبق، يُمكن القول إن نزوع الأفراد والمؤسسات لأنظمة فض المنازعات من خارج القضاء كالتحكيم والوساطة والتسوية والتفاوض بالصلح وغير ذلك، أحد مظاهر تفكك النظام القضائي للدولة الحديثة، أو بعبارة أخرى؛ تفكيك هذا النظام رهن ما يُمكن تحقيقه من تجريده من الثقة، ولذلك تكون النظم الاستبدادية أكثر سهولة من غيرها في تفكيك نظامها القضائي بمجرد سقوط قوتها العسكرية التي يستند عليها استبدادها، لضَعف تمتعها بالثقة في سلطاتها العامة.

فلا غرابة إذن أن نجد الدولة الحديثة قد تحولت نظرتها منذ منتصف القرن المنصرم إلى هذه الأنظمة التقليدية من نظرة "المُنافس" إلى نظرة "الصديق"، ومن ثمَّ تحول سياستها حيالها من "الوأد" إلى "الاحتواء" ؛

فوجهت كل جهدها نحو احتضانها وإدماجها داخل إطارها، مستخدمة في ذلك عدة سُبل، أهمها:

(1) تقنين أوضاع الأنظمة التقليدية، وهيكلتها من قِبل الدولة، وحظر كل ما يستعصي على هذه الهيكلة أو يخرج عن نطاقها.

(2) تفسيرها وتطويرها من خلال الدراسة والبحث والممارسة من قِبل تشكيلات الدولة القانونية، كالتعليم القانوني والمهن القانونية، التي تَقصر - في الغالب - هذا التفسير والتطوير في نطاق قوانين الدولة فقط.

بيد أن التجربة الواقعية، أثبتت أن هذه السيطرة تُفقد الأنظمة التقليدية قيمتها بمرور الوقت فتمسخها إلى كائنات مشوهة شبيهة بما أفرزته الأنظمة السلطوية، إما لبيروقراطية الأُطر القانونية المستخدمة ومن ثمَّ فَقد ميزتي الإِرادة والحرية، أو فقدان آليات التنفيذ والتدابير الوقتية التي تتمتع بها ذات الأنظمة في الأُطر العُرفية، ومن ثمَّ تفريغ الساحة لنمو أنظمة تقليدية حقيقية يمارسها أفراد غير خاضعين للدولة أو متحررون من أُطرها القانونية.

---

(7) وهذا توجه عام أصبح جزءا من طبيعة النظام السياسي المعاصر، بالطبع لم يحدث التحول نحوه في العالم في وقت واحد، بل اختلف من بلد لآخر، وعلى سبيل المثال يُمكن القول إنه بدأ في الولايات المتحدة في عشرينات القرن العشرين، بينما بدأ في بريطانيا مع الخمسينات، وفي فرنسا في الستينات، ومع دخول التسعينات أصبحت هذه النظم التقليدية بثوبها الجديد وصورتها الحداثية جزءا لا يتجزأ من النظم القانونية والقضائية في أغلب دول العالم.

لكن ستظل هذه الأنظمة التقليدية تواجه تهديدًا أساسيًا له ما له من تأثير في إضعافها وإطالة أمد صراعها مع الأنظمة السلطوية، وهو عدم امتلاكها وسائل قسرية تجبر الأطراف على احترامها وتنفيذها، إذ يرتبط ذلك - في الغالب الأعم - بقدر ما يُمكن أن تضعه تحت يدها من أموال النزاع أو حقوق لطرفيه، تستطيع من خلالهما استيفاء ما عسى أن يُقضى به أو قدر ما تحطه من سمعة الطرفين إن لم يُذعنا لقرارها وحُكمها.

وفي جميع الأحوال، فإن هذا التحول والصراع داخل النظام القانوني - الذي يحدث بعيدًا عن ملاحظة الكثيرين ومراقبتهم - يُمكن اعتباره بحق مقدمات لانقلاب في المجال القانوني، لأنه إما أن يخلق نظامًا قانونيًا جديدًا، أو يُعيد صياغة النظام القائم ؛ إذ يرتبط بتغييرات عميقة في الإجراءات القانونية والمهن القانونية والتعليم القانوني ، مع الأخذ في الاعتبار أنه يلزم لاستكمال هذا الانقلاب أن تترافق مع هذه التغييرات أوضاع اجتماعية جديدة تحول دون أي إصلاحات سلطوية للتشكيلات القانونية سالفة الذكر، أو على الأقل تجفيف فاعليتها

فالنتيجة النظرية - والتي هي رهن اختبار الواقع - أن تفكيك الأنظمة القضائية الحديثة، والإسراع من وتيرته رهن عوامل مختلفة،أهمها:

- وجود أنظمة تقليدية حقيقية تنافس أنظمة الدولة في أداء وظيفة القانون الاجتماعية التي تقوم بها.
- تحرير هذه الأنظمة التقليدية من محاولات السيطرة والإخضاع لمؤسسات الدولة القانونية، أو أي تكوينات اجتماعية مُمالئة لها.
- قدر الثقة التي تنتزعها هذه الأنظمة من أنظمة الدولة، نتيجة بيروقراطيتها أو استبدادها.
- تأهيل المجتمع - لاسيما نُخبه بمختلف تخصصاتهم العلمية والمهنية - لممارسة هذا النوع التقليدي من أنظمة فض النزاعات.

وبقدر ما تكتسبه هذه الأنظمة من وجود وتحرر وثقة وتطور بقدر ما يكتسب المجتمع من قوة على حساب الدولة.

---

(8) وعلى سبيل المثال يذكر Thomas Schultz في مقال Onine Arbitration: Binding Non- Binding? بعض نماذج لممارسات تحكيمية على الإنترنت (أون لاين) استطاعت خلق وسائل قسرية لإجبار الأطراف على قبول حكمها والإذعان لقراراتها. المقال متاح على رابط www.ombuds.org/center/adr2002-11-schultz.html

يسألونك عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ (٤)

الصغير منير



كانت نقاط قوة الجبهة الإسلامية كثيرة، بعضها تمّ استثماره بشكل جيّد وإلى أبعد الحدود، وبعضها لم يحظ بالمتابعة والتوجيه لتكون نتائجه أفضل وأعمق.

من القضايا التي تنبّهت لها الجبهة تأسيسها ل(الرابطة الإسلاميّة للطلبة)، خريف عام 1990، بعد انتخابات المجالس البلدية والولائيّة.

وقد كان حضور هذه الرابطة الطلابيّة قويّا ومؤثّرا وانتسب إليها آلاف من الطلبة، حتى ممّن لم يكونوا منخرطين في الجبهة سياسيّا.

وقد كانت مطالب الرابطة مثل كل الاتّحادات الطلابية ذات علاقة مباشرة بحياة الطلبة ومشاغلهم الاجتماعية والمعيشية في الأحياء الجامعيّة وبقضاياهم التعليمية ي معاهدهم وكلّياتهم.

ولم يكن حضور الرابطة بالقوة نفسها في كلّ الجامعات، فقد كان في بعضها أقوى من بعض بحسب نشاط وفعالية المنتسبين إليها.

وكان غالبية الطلبة ومديري الجامعات والمعاهد يعلمون صلتها بالجبهة الإسلامية ولكنّ ذلك لم يكن مهمّا لأنّها كانت قدّمت وثائق اعتمادها إلى وزارة الداخليّة التي تثاقلت عن اعتماد الرابطة قانونيا حتى حدث الانقلاب عام 92 وأصبحت بذلك تنظيما غير قانوني يعاقب كلّ من ينتسب إليه أو ينشط من خلاله.



لقد كانت أبرز محطّة ظهر فيها أداء وفعالية الرابطة هي محطّة الإضراب السياسي، التي استطاع فيه الطلبة المنتسبون إليها تجنيد وحشد الطلبة وتعطيل الدراسة في الجامعات وتنظيم مسيرات داخل الأحياء والكلّيات والخروج في مسيرات من الجامعة إلى خارجها تكثيرا لسواد المضربين والمعتصمين والمشاركين في المسيرات.

لم يكن تنظيم الرابطة وهيكلتها قد تمّت بعد، ولم يكن نشاطها مركزيا، فقد كان للمنتسبين إليها في كلّ جامعة حرّية اتّخاذ ما يرونه من قرارات ومواقف، وقد أعجل الرابطة عن أمرها ما أعجل الجبهة من تسارع للأحداث وضغط سياسي وكثرة عددية في غياب رؤية واضحة واستراتيجية للحركة والأداء، فلم يكن للرابطة قيادة وطنية معروفة ولا ناطق رسميّ يعبّر عن مواقفها ولا إصدارات مكتوبة ولم تعقد مؤتمرها التأسيسي، غير أنّها استفادت من الزخم السياسي العام ومن انتصارات الجبهة ومن تذمّر أكثر الطلبة من الاتّحادات الطلابية السابقة التي كان يسيطر عليها بشكل شبه كلي اليساريون والعلمانيّون. كما لم تولِ قيادة الجبهة أيّ اهتمام حقيقيّ بالرابطة من حيث التوجيه والمتابعة والدعم والتنظيم، وهو الأمر الذي حدث مع كلّ التنظيمات والهياكل التابعة للجبهة.

وبعد الانقلاب كان حنق أجهزة الأمن على الطلبة كبيرا، فنالهم حظّهم من المطاردات والتضييق والسجون والقتل، وقد التحق عدد كبير جدّا من الطلبة بالعمل المسلّح في الجبال والمدن، وقُتل منهم وسُجن الآلاف زيادة على من فرّوا إلى الخارج لاجئين.

> لقد كان تأسيس تنظيم طلابي نقطة قوّة للجبهة، ولكنه إنجاز أضعفه الإهمال واللامبالاة من قيادة الجبهة وضعف الخبرة في العمل الطلابي عند الغالبية العظمة من منتسبي الرابطة وتسارع الأحداث بشكل حال دون رسم أي استراتيجية للرابطة يمكّنها من الاستجابة للتحدّيات الكبرى التي كانت تواجهها يومئذ الجزائر سياسيا وثقافيا واجتماعيا ثم أمنيّا وعسكريّا بعد ذلك، وكان غياب الرؤية والتخطيط سببا في ضرب الرابطة وتفكّكها بسرعة بعد الانقلاب وعدم استثمارها في أي حراك احتجاجي رافض للانقلاب أو داعم للأداء السياسيّ للجبهة بَعْدَه.

و على منوال الرابطة الإسلاميّة للطلبة تمّ تأسيس (النقابة الإسلاميّة للعمل)، التي كانت النقابة الوحيدة المنافسة والمزاحمة للاتّحاد العام للعمّال الجزائريّين الذي كان ذراع السلطة في كلّ المؤسسات الاقتصاديّة في الجزائر. غير أنّ ما يميّز النقابة الإسلاميّة هو أنّ مؤسسيها كانوا ممّن لهم سابقة في العمل النقابي وخبرة في كواليسه، ممّا جعل أداءه أفضل وأبعد أثرا من أداء رابطة الطلبة.

■ وقد حظيت النقابة بدعم واضح من المكتب الوطني للجبهة بحكم أن عددا من الأعضاء مؤسسيها كانوا أعضاء في مكاتب الجبهة ومجالس شوراها وطنيا وولائيّا، و لأنّ تأثير النقابة كان - ربما - أوضح وأظهر من العمل الطلابي في تصوّر قيادة الجبهة.

وقـد ظهرت فعالية النـقابة الإسلاميّة كذلك في الإضراب السياسيّ، فقد ارتبط مفهوم الإضراب منذ نشأته وتطوّر أساليبه في الغرب بالنقابات العمّاليّة. واستطاعت النقابة تجنيد العمال للمشاركة في الإضراب والخروج في مسيرات ومظاهرات في فترة الإضراب، برغم تفاوت نسب المشاركة بين الولايات وبين المؤسسات الاقتصادية الكبرى والمدارس والثانويات. وهنا يجب أن نسجّل أنّ الجزائريّين لم يعرفوا منذ الاستقلال عملا نقابيا أو طلابيّا مستقلّا عن أذرع السلطة والحزب الواحد، وكانت النقابات والاتّحادات السلطويّة متجذّرة في كل المؤسسات والقطاعات، ممّا يجعل أداء النقابة الإسلامية متميّزا وهي النقابة التي لم يتجاوز عمرها بين التأسيس والإضراب سوى سنة واحدة.



وقد كان النظام يشعر بالقلق من تزايد عدد المنتسبين إلى النقابة الإسلاميّة و من حركية أعضائها وفعاليتهم ويخشى من تهميش وإقصاء الأذرع النقابية التي كان يرعاها ويدعمها. وشاركه القلق والخشية اليساريّون والعلمانيّون الذين كانوا ظاهريّا يعارضون النظام، فقد كانوا هم المسيطرين فعليّا على قيادة هذه الكيانات وكان ظهور أي منافس جديد يستمدّ من إيديولوجية وتصورات مخالفة لهم يعتبر تهديدا وجوديا لهم. وقد كان هؤلاء ومن خلفهم النظام يعبّرون عن هذا القلق والخشية عن طريق الجرائد والصحف والتلفزيون والإذاعة العموميين والتي كان نفوذ اليساريين والعلمانيين فيها شبه كلّي باختلاق الإشاعات وترويج التّهم والتشكيك في نسب المشاركين في الإضراب وأعداد المنتسبين للنقابة حتى لا يتوسّع تأثيرها وتستقطب مزيدا من الطبقة العاملة.

والنقابة الإسلامية للعمل هي النقابة الوحيدة التي تأسست لتنافس وتزاحم النقابات العمالية التي كان يسيطر عليها اليساريون، وقد تعرضت بعد الانقلاب إلى الحلّ ونال أعضاءها من الاغتيالات والسجن والتضييق ما نال كلّ المنتسبين إلى الجبهة الإسلامية وأذرعها وفروعها، ولم تتأسّس بعدها أيّ نقابة من منطلق إسلاميّ إلى يوم النّاس هذا، برغم انفتاح العمل النقابي والتعددية النقابية التي تشهدها الساحة العمّالية الجزائريّة إذا استثنينا النقابات الصغيرة المتخصصة مثل تنسيقية أساتذة التربية الإسلامية وغيرها.

لم يقتصر نشاط الجبهة الإسلامية على العمل الطلابي والعمّالي بل انفتحت على العمل الخيريّ والاجتماعيّ الذي تمثّل خاصّة فيما يسمّيه الجزائريّون ب (أسواق الرحمة) أو (الأسواق الإسلاميّة)، وهي أسواق شعبية صغيرة ومتوسّطة أشرفت عليها مكاتب الجبهة في عواصم الولايات وبلدياتها الكبرى تُعرَض فيها الخضراوات والفواكه والموادّ الغذائية وأحيانا الألبسة بأسعار رخيصة جدّا تكسر كلّ منافسة، وكان القائمون عليها في الغالب شبابا متطوّعين أو يأخذ بعضهم أجرا زهيدا.

كانت أسواق الرحمة هذه شيئا جديدا على الجزائريّين لم يألفوا مثيلا له من قبل، وفرح بها واستفاد منها الفقراء والمحتاجون، وأحْيَت روح التكافل والتضامن بين الجزائريّين، وكسرت احتكار التجّار والمضاربين.

وكان موقف المزارعين والفلّاحين خاصّة موقفا جميلا ومعبّرا، فقد كانوا يبيعون منتجاتهم للمشرفين على هذه الأسواق بأسعار زهيدة أقلّ بكثير من تلك التي يبيعون بها للتجّار، بل كانوا أحيانا عند وفرة المنتوج يهبونها بلا مقابل ولا يسألون إلا الدعاء بالبركة.
وقد بلغ من نزول الأسعار ووفرة المعروض أن أصبح حتى الميسورون من الطبقة المتوسّطة وبعض الأغنياء يقتنون احتياجاتهم من هذه الأسواق.

ولم تسلم هذه المبادرة أو التجربة من اللمز والتشويه والتشكيك مثل كلّ المبادرات والمشاريع التي تكون وراءها الجبهة الإسلاميّة خاصّة والتيّار الإسلاميّ عموما.

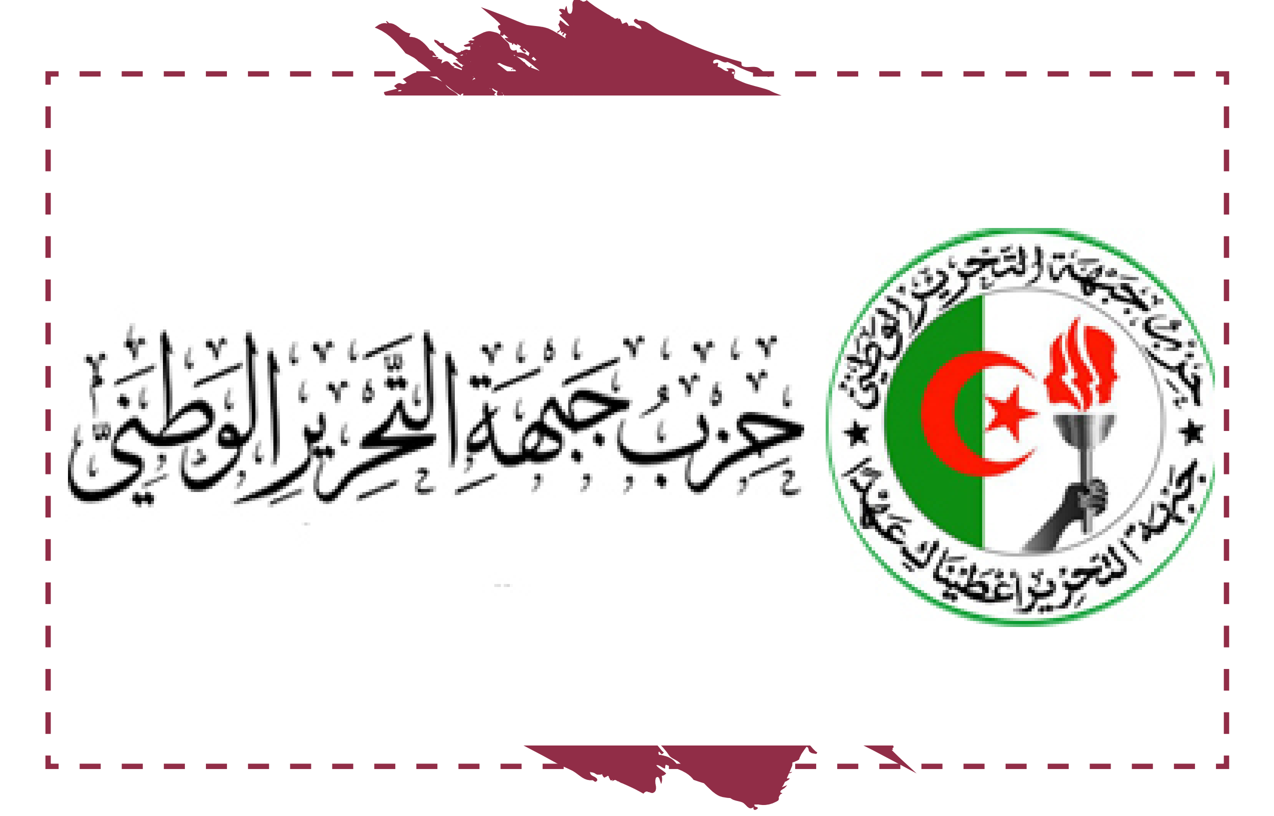
فقد كان الإعلام يكرّر أن الجبهة تستغلّ موارد البلديّات من مقرّات وساحات عرض وشاحنات وسيّارات بلا مقابل، وأنّ الجبهة في مشاريعها تتلقّى دعما وتحيّزا من رؤساء المجالس البلدية والولائية المنتمين إليها، وأنّ البيع في هذه الأسواق يتمّ بصفة غير قانونيّة ومعفى من الضرائب وبدون سجلّات تجارية، وأنّ العمّال في هذه الأسواق غير مؤمّنين والسلع غير مراقبة ....إلخ.

بعض هذه الانتقادات صحيح وبعضها تافه وكذب، ولكن الفقراء والمحتاجين لم تكن تهمّهم هذه الإشاعات والاتّهامات بقدر ما كان يهمّهم قوت يومهم وما يسدّون به الرّمق، ولم يكن أعضاء الجبهة الإسلاميّة في الحقيقة يلقون بالا لهذه الاعتبارات وهم يرون مثل كلّ الجزائريّين الفساد المتفشّي في كلّ مؤسسات الدولة، ويعتبرون النظام وما يصدر عنه غير شرعيّ من الأساس، ولم يكلّفوا أنفسهم أصلا الردّ على ما تدّعيه الصحف والجرائد.

ورافق تجربة أسواق الرحمة مبادرات أخرى مثل المطاعم الخيريّة و سلّة رمضان وغيرها، وهي مبادرات أقبل المواطنون من كل الفئات على دعمها واحتضانها وتموينها.

ولئن كان الجزائريّون منذ سنة 2000 وما بعدها إلى يومنا هذا قد اعتادوا على مثل هذه الأنشطة والمشاريع والمبادرات الخيريّة بحيث لا تكاد تخلو منها بلدية أو مدينة في الجزائر، فإنّها ما بين 1990 إلى 1992 كانت شيئا جديدا تماما على من عايشوا تلك الفترة، بحيث بقيت راسخة في أذهانهم ومشاعرهم سنوات بعد الانقلاب، زيادة على أنها كانت يومئذ مرتبطة بوضوح بمشروع سياسيّ يحاول تقديم نفسه كبديل للنظام القائم وليس مثلما يحدث اليوم وبرغم كل الخير والإحسان والفضل الذي تقدّمه فإنّها مشتتة لا يجمعها رابط ولا يضمّها مشروع ولا تقف وراءها رؤية ولا هدف، سوى سعي أصحابها للأجر والثواب وهو أمر محمود ومطلوب بلا شكّ أو أهداف أخرى لا علاقة لها بدين ولا نُبل ولا أخلاق.

كان التنافس السياسيّ بين الجبهة الإسلاميّة وأعدائها شرسا وعنيفا، وكانت السلطة - ممثلة في حزبها الرئيسيّ : جبهة التحرير الوطني وأذرعها النقابية والمعارضة في شقّها اليساريّ/ اللائكيّ والإعلام
الذي كان كلّه تقريبا تحت يد أعداء التيّار التغريبيّ - لا تتورّع عن استخدام أيّ وسيلة تخصم بها من رصيد الجبهة الإسلاميّة أو تحجّم من انتشارها أو تشوّهها أو تحوّل إنجازاتها إلى هزائم واتّهامات، وبرغم أن الجبهة كما ذكرنا في الجزء السابق كان لديها إعلامها الموازي والقويّ ولكنه كان موجّها بالأساس إلى أنصار الجبهة والمتعاطفين معها، أما الرأي العام فقد كان يصنعه ويؤثّر في توجّهاته الإعلام المعادي للجبهة ومشروعها.



كما كانت الحملات الانتخابية يُدار جزء منها في المساجد، باستضافة دعاة وخطباء يشرحون مشروع الجبهة وينافحون عنه ويدعون إليه ويحرّضون الناس على الالتفاف حوله. وكانت كثير من المسيرات الحاشدة تنطلق من المساجد، واثناء التجمعات الكبرى في العاصمة خاصّة كانت المساجد تفتح أبوابها لتأوي الوافدين من جهات الجزائر الأربع للراحة و المبيت أحيانا.

لم يكن كلّ الأئمة راضين بهذه الطريقة التي انتهجتها الجبهة الإسلاميّة في استخدام المساجد، وإذا كان كثير منهم قد انخرطوا في الجبهة فإنّ عددا معتبرا منهم كان يقبل بذلك إما مجاراة ومصانعة لأعضاء الجبهة في مدينته وحيّه أو خوفا من ردود أفعالهم وغضبهم التي قد تحول إلى سلوك عنيف بطريقة ما.

وما كان الإعلام الذي يمثل السلطة أو المعارضة ليفوّت هذه الفرصة من أجل أن يتّهم الجبهة ويشنّع عليها و يتحدّث عن استغلال الجبهة للمساجد وتسييسها وأن ذلك يعطيها أفضليّة في المنافسة مع خصومها ويمنح مشروعها وخطابها قداسة تُشعِر المواطن أن مخالفة الجبهة أو معارضتها مخالفة أو رفض للدّين .....إلخ.

لا شكّ أن الجبهة كما قلنا آنفا لم تكن تأبه كثيرا لاستنكار الإعلام والأحزاب والسلطة لكثير من تصرفاتها ومواقفها، ولا شكّ أيضا أن الشعب الجزائريّ في عمومه لم يكن يرى في استخدام الجبهة ودعاتها وسياسييها للمسجد خطرا كبيرا أو يلقى منهم معارضة أو رفضا إلا في حدود ضيّقة وغير معلنة في الغالب. ومع ذلك فإن المساجد كانت بالفعل مرتكزا قويا لانطلاق الجبهة في مشروعها ومنحها قوّة في التأثير وحضورا شعبيا كبيرا جدّا والتصاقا بالمواطنين ومعايشة لاهتماماتهم ومعرفة بأسئلتهم وقدرة على التفاعل معهم.

لقد كانت الجبهة في الحقيقة تنطلق من منطلق براجماتي سياسي واضح، فما دامت السلطة وأعداؤها يمتلكون كلّ مواقع ووسائل التأثير والتواصل ويحتكرونها ويمنعون الجبهة من استخدامها ولو في حدّها الأدنى فإنّ الجبهة في المقابل تعطي لنفسها ومناضليها الحقّ في استخدام المسجد الذي لا يستطيع اليساريّون واللائكيّون ولوجه ولا يحسنون خطابه كما لا تستطيع السلطة استخدامه إلا على استحياء لأنّ أحداث أكتوبر ونشاط الجبهة وقبلها ومعها الحركة الإسلامية كانت قد وضعت الأئمة والخطباء المنتمين للسلطة والمتبنّين لخطابها في موقع ضعف واتّهام بالعمالة للنظام والاستفادة منه وكانت صورة أولئك الأئمة سيّئة في نظر أغلبيّة الجزائريّين الذين كاوا يطلقون عليهم وصف (أئمة الحساب البريدي الجاري)، إضافة إلى أن الجبهة الإسلاميّة استطاعت استقطاب خيرة الأئمة والدعاة والشيوخ المعروفين والمؤثّرين في كل الولايات تقريبا وكان حضورهم ظاهرا جدّا في التجمّعات والمسيرات.



مسيرة الجماعة الإسلامية

م. أحمد مولانا

ازدادت النزعة للتدين عقب انكسار المشروع الناصري عام 1967، ثم اتسعت رقعة الحرية بموت عبدالناصر عام 1970، وبتحجيم السادات لنفوذ أجهزة الأمن والمخابرات عقب قضائه على مراكز القوى في أحداث 15 مايو 1971 [1].

في تلك الأجواء نشأت الجماعة الإسلامية كحركة اجتماعية في الوسط الطلابي الجامعي عام 1971 دون أن تكون لها (مرجعية فكرية أو شرعية محددة)، إنما تأثرت بروافد متنوعة كالجمعية الشرعية وأنصار السنة، وبعض الدعاة كمحمد الغزالي وسيد سابق ويوسف القرضاوي، فضلا عن كتابات المودودي وسيد قطب.

تأسست أولى نويات الجماعة بكلية طب القصر العيني تحت اسم "لجنة التوعية الدينية" المتفرعة عن "اللجنة الثقافية باتحاد الطلبة"، وكان من أبرز مؤسسيها د.عبدالمنعم أبو الفتوح، ثم تحول اسمها إلى "الجمعية الدينية"[2]، التي امتد نشاطها إلى جامعات أخرى كجامعة أسيوط على يد "صلاح هاشم"[3] وبعض رفاقه.

> اقـتصر نشاط "الجمعية الدينية" في البداية على إقامة حلقات تلاوة للقرآن ودروس للتجويد وإلقاء مواعظ قبيل المحاضرات وتعليق مجلات حائط، دون الانخراط بشكل مباشر في العمل السياسي، ثم دخل أفرادها انتخابات اتحاد الطلاب بكلية طب القاهرة عام 1973 وفازوا بخمس من لجان الاتحاد الست، وتحولت الكلية إلى مركز عام للنشاط الإسلامي بالجامعات. وتحول اسم اللجنة إلى "الجماعة الإسلامية"[4] عام 1973، تيمنا بالجماعة الإسلامية الباكستانية التي تزعمها أبو الأعلى المودودي.

سيطرت نزعة سلفية جهادية على شباب الجماعة، فأطلقوا لحاهم واعتادوا دخول الجامعات بالجلباب، وانتشر النقاب بين الطالبات، وبرز استخدام القوة كوسيلة للتغيير بين أفرادها، فيقول عبدالمنعم أبوالفتوح: "استخدام العنف كان مقبولا والاختلاف حول توقيته وجدواه فحسب"[5].

ويؤكد "صلاح هاشم" أن نظام السادات لم تكن له يد في تأسيس الجماعة، ولكنه سمح لها بالعمل دون تضييق كي يوجد معادلة توازن مع خصومه من الناصريين واليساريين، فعلى سبيل المثال كان محافظ أسيوط "محمد عثمان اسماعيل" يدعم معسكرات الجماعة ماليا من صندوق المحافظة، دون أي يشترط أي شروط أو أن يعطي أي توجيهات[6].

---

(1) في أحداث 15 مايو تم القبض على رئيس المخابرات العامة أحمد كامل ورئيس المباحث العامة "أمن الدولة" حسن طلعت.

(2) عبدالمنعم أبوالفتوح- شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية - ص67- ط. دار الشروق.

(3) مهندس خريج جامعة أسيوط-من أقدم مؤسسي الجماعة الإسلامية منذ عام 1972.

(4) شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية - ص47 ، بينما يذكر صلاح هاشم في حوار مع موقع إسلام أون لاين بتاريخ 2 أكتوبر 2010 أن اللجنة الدينية تأسست عام 1972 وتحول اسمها إلى الجماعة الإسلامية عام 1975.

(5) شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية - ص65.

(6) حوار صلاح هاشم مع موقع إسلام أون لاين.

كان لكل كلية أمير[7] يُختار بالتوافق، وتم لاحقا تدشين مجلس أمراء للجماعة على مستوى الجمهورية، عُقدت اجتماعاته الشهرية في مسجد كلية طب القصر العيني، وفي عام 1977 انتخب د.حلمي الجزار كأمير لأمراء الجماعة الإسلامية على مستوى الجامعات.

خرج قادة جماعة الإخوان المسلمين من السجون عام 1974 بعد إقامتهم 20 سنة بها، ونجحوا سرا بنهاية السبعينات في استمالة أبرز قادة الجماعة الإسلامية إلى صفوفهم؛ كعبد المنعم أبوالفتوح وعصام العريان وحلمي الجزار من جامعة القاهرة، وإبراهيم الزعفراني من جامعة الاسكندرية، ومحيي الدين عيسى وأبو العلا ماضي من جامعة المنيا، وخيرت الشاطر من جامعة المنصورة، فوهب الإخوان لهؤلاء الطلبة (الفكرة والمشروع والتاريخ)، بينما وهب الطلبة للإخوان جسد التنظيم الذي أقاموه بالجامعات[8]، أما الخلافات حول قضايا الهدي الظاهر فحلها قادة الإخوان بإطلاق لحاهم.



عبدالمنعم أبو الفتوح

مع تزايد نشاط الجماعة الإسلامية وانتقاله إلى خارج أسوار الجامعة، واعتراضها على اتفاقية كامب ديفيد، سقط أول قتيل[9] منها على يد الشرطة بأسيوط عام 1979 ، أثناء فض تظاهرة مناهضة لاستقبال شاه إيران بمصر، كما بدأ التضييق على أنشطتها، وحُل اتحاد الطلبة، واعتُقل عدد من قياداتها الطلابية.

سرعان ما اكتشف بقية قادة الجماعة الإسلامية انضمام رفاقهم سرا للإخوان؛ فانفصلت مجموعة من طلبة جامعة الإسكندرية عام 1980 ، وأسسوا الدعوة السلفية، بينما استمرت مجموعة الصعيد في العمل تحت اسم "الجماعة الإسلامية"، ورفضوا العمل مع جماعة الإخوان لاعتبارهم إياها "جماعة مداهنة تخلت عن الجهاد، وتحاول استيعاب الشباب الجهادي ضمن صفوفها ليمنحها النظام شرعية الوجود، ويسمح لها بمعاودة النشاط"[10].

---

(7) لمزيد من التفاصيل انظر : أبوالعلا ماضي (جماعات العنف المصرية وتأويلاتها للإسلام) - ط. مكتبة الشروق الدولية.

(8) انظر: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية - ص91.

(9) اسمه "عنتر كمال".

(10) مجلة "المرابطون" - عدد 1 - مايو 1990 - مقال "الإرهاب فرض والقوة واجبة".

برز من قادة مجموعة الصعيد آنذاك كرم زهدي وصلاح هاشم ورفاعي طه وناجح إبراهيم وعاصم عبدالماجد وعصام دربالة، وصار الشيخ الأزهري الدكتور عمر عبدالرحمن بمثابة أمير الجماعة والأب الروحي الذي يلتف شبابها حوله، بينما ابتعدت المجموعة التي انضمت لجماعة الإخوان عن استعمال اسم الجماعة الإسلامية إثر توجه مجموعة الصعيد لاستعمال القوة في إنكار المنكرات.

تحول الجماعة الإسلامية للعمل المسلح

لم تمتلك الجماعة مشروعا محددا للتغيير إلى أن التقى رئيس مجلس شوراها كرم زهدي عام 1980 بالقيادي الجهادي "محمد عبدالسلام فرج"، الذي أقنعه بمشروعه المتمثل في القيام بانقلاب عسكري مصحوب بثورة شعبية، ومن ثم بدأت الجماعة في تمويل تسليح بعض أفرادها من خلال السطو على محلات الذهب المملوكة لنصارى بـ"قنا"[11].

وفي 8 أكتوبر 1981 عقب اغتيال السادات بيومين، قام 35 من أعضاء الجماعة يمتلكون 7 بنادق آلية وبعض المسدسات والقنابل اليدوية، بالهجوم على مديرية أمن أسيوط وبعض أقسام الشرطة والتمركزات الأمنية، سعيا للسيطرة على أسيوط[12] والزحف منها على المحافظات الأخرى، وحدثت اشتباكات عنيفة انتهت بتدخل قوات الجيش؛ لتسفر الأحداث عن مقتل 7 من أفراد الجماعة وما يزيد عن ثمانين من أفراد الشرطة، وصدرت أحكام متفاوتة بالسجن على المتهمين في الأحداث، وكان المؤبد من نصيب قادة الجماعة البارزين.



(11) استصدر قادة الجماعة فتوى من الشيخ عمر عبدالرحمن بجواز الاستيلاء على أموال تجار الذهب النصارى الداعمين للكنيسة في ظل أجواء الفتنة الطائفية آنذاك ، ففي أحداث الزاوية الحمراء في يونيو 1981 قُتل 17 شخصا وإصابة 50 آخرين، وبالفعل قاد "علي الشريف" عملية السطو على محلات عدد من تجار الذهب بقنا في 26 يونيو 1981 .

(12) مجلة المرابطون- العدد 6 - ص24.

تفكك تنظيم محمد عبدالسلام فرج داخل السجون، وعملت الجماعة الإسلامية بشكل منفرد عن المجموعات الجهادية الأخرى، وحرص قادتها على تأطير منهج الجماعة وتقديم تنظير فكري وشرعي يوضح الملامح العامة لها، فأصدروا رسالة (ميثاق العمل الإسلامي) عام 1984 مؤكدين فيها على سلفية المعتقد وتبنيهم لثلاثية "الدعوة كأداة لتغيير المفاهيم، والحسبة كأداة لتغيير المجتمع، والجهاد كأداة للتغيير عندما لا تجدي الدعوة ولا تكفي الحسبة"[13].

تواكب إصدار الميثاق مع إعادة بناء الجماعة على يد قيادات الصف الثاني - مثل صفوت عبدالغني - عقب خروجهم من السجن عام 1984 ؛ إذ اعتمدوا العمل الدعوي العلني في المساجد والجامعات، فضلا عن تقديم الخدمات الاجتماعية في المناطق الشعبية؛ كتوزيع المساعدات العينية على الأسر المحتاجة وتنظيم معارض للسلع المخفضة وإقامة شوادر للجزارة، والمساهمة في ترميم وبناء المساجد، وإقامة الأفراح الإسلامية بأسعار مخفضة. وامتد نطاق الوجود الجغرافي للجماعة إلى القاهرة الكبرى وبعض محافظات وجه بحري، وتحولت أحياء عين شمس وإمبابة والعمرانية إلى معاقل قوية للجماعة التي قامت بالاحتساب على (محلات بيع الخمور ومحلات الفيديو والحفلات الموسيقية والاختلاط بالجامعات)[14]، وبلغ من نفوذ الجماعة في بعض المناطق أن صارت أجهزة الأمن تحيل مشاكل المواطنين إلى قادتها لحلها[15].

رفع وزير الداخلية "زكي بدر" شعار (الضرب في سويداء القلب) وبدأ الأمن يتصدى لأنشطة الجماعة، فقتل عام 1986 طالب كلية التجارة "شعبان راشد" أثناء تعليقه إعلانا عن درس للجماعة بأسيوط، وهو أول قتيل للجماعة منذ أحداث 81 ، ثم تصاعدت الأحداث في أغسطس 1988 إثر مقتل 6 من أعضاء الجماعة أثناء اقتحام الأمن لمسجد آدم بعين شمس، وخلال الفترة الممتدة من عام 1689 إلى 1990 اقتحم الأمن (40 مسجدا تابعا للجماعة وقتل 70 من أفرادها[16].

(13) لمزيد من التفاصيل انظر "ميثاق العمل الإسلامي" - نسخة الكترونية على موقع منبر التوحيد والجهاد.

(14) للاطلاع على تنظير الجماعة الشرعي لهذه الممارسات انظر: مجلة المرابطون- العدد1- مقال (الإرهاب فرض والقوة واجبة).

(15) تصريح لوزير الداخلية السابق حسن الألفي - خارج السلطة وأسرار الداخل- ص 25 - ط. المكتب العربي للمعارف.

(16) مجلة "المرابطون" - عدد 8 - شهر ديسمبر 1990 - ص49.

من جهتها ردت الجماعة بإصدار رسالة (حتمية المواجهة) عام 1987 والتي بررت فيها الصراع مع النظام الحاكم بأربعة أسباب، تتمثل في وجوب (خلع الحاكم الكافر المبدِّل لشرع الله، وقتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام، وإقامة الخلافة وتنصيب خليفة للمسلمين، وتحرير البلاد واستنقاذ الأسرى ونشر الدين)[17]. ومن ثم بدأت الجماعة في إرسال بعض شبابها للتدرب في أفغانستان تمهيدا لتأسيس جناح عسكري يحميها من اعتداءات الأمن، وأطلقت مجلتها "المرابطون" من بيشاور عام 1990.

الثأر وغياب الاستراتيجية

لم تكن الجماعة تبغي الوصول للحكم إنما كنت تريد تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن ثم لم تقدم في أدبياتها رؤية واضحة لوسيلة تغيير محددة تتبناها، وخاضت صراعها مع النظام ردا على تجاوزات الأمن تجاه أفرادها، وللضغط من أجل تنفيذ طلباتها، والتي تمثلت في إيقاف التعذيب والمحاكمات العسكرية والإفراج عن المعتقلين والرهائن من أهالي عناصرها، والسماح بحرية العمل الدعوي.



(17) حتمية المواجهة - نسخة إلكترونية.

نفذت الجماعة أولى عملياتها الثأرية الكبرى في ديسمبر عام 1989 بمحاولة اغتيال وزير الداخلية زكي بدر بواسطة عربة مفخخة، وسرعان ما اغتال الأمن المتحدث الإعلامي للجماعة د.علاء محيي الدين عاشور في سبتمبر 1990 أثناء سيره في الشارع بالجيزة، فأصدرت الجماعة بيانا بعنوان (ومضى عهد الكلام) ثم ردت في 12 أكتوبر 1990 باغتيال رئيس مجلس الشعب "رفعت المحجوب" وتصفية حراسه على كورنيش النيل، وصار خطاب الثأر حاضرا في بيانات الجماعة وممارساتها، فتعهدت بالانتقام من اعتداء أجهزة الأمن على زوجات قادتها المتهمين باغتيال المحجوب في بيان بعنوان (لبيك يا أختاه)[18] قائلة (لبيكن سنثأرن ، لبيكن سننتقم) كما قتلت عام 1993 فرد الشرطة الذي قتل "شعبان راشد" قبل سنوات.

ويمكن تحديد ملامح العمل العسكري لدى الجماعة في المحاور التالية:

■ استهداف رموز النظام السياسية والأمنية والثقافية

قتلت الجماعة رئيس مجلس الشعب رفعت المحجوب عام 1990 و المفكر العلماني فرج فودة عام 1992، واللواء رؤوف خيرت مسئول التطرف الديني بأمن الدولة عام 1994،واستهدفت وزير الإعلام صفوت الشريف عام 1993 مما أدى لإصابته، وأصابت الأديب نجيب محفوظ عام 1994، واستهدفت حسني مبارك عدة مرات من أبرزها في أديس أبابا عام 1995.

■ استهداف ضباط وأفراد الشرطة بالصعيد[19]

نظرا لثقل الجماعة بالصعيد فقد ركزت عملياتها ضد عناصر الشرطة به، وبالأخص في أسيوط التي بلغ عدد قتلى الشرطة فيها خلال عامي (1992- 1993) قرابة 43 شرطيا بينهم 7 ضباط منهم مساعد مدير الأمن اللواء محمد الشيمي، ومفتش الداخلية العميد محمد طعيمة، ورئيس مكتب أمن الدولة بديروط المقدم مهران عبدالرحيم. كما امتدت عملياتها إلى محافظة المنيا وبالأخص مدينة ملوي.

■ استهداف السياح والأقباط للضغط على النظام

بدأت الجماعة باستهداف البواخر السياحية وأتوبيسات نقل السياح في الصعيد بإطلاق النيران عليها بدءا من أكتوبر عام 1992، وشنت هجوما دمويا على أتوبيس سياحي أمام فندق أوربا بالهرم عام 1996 مما أدى لمصرع 18 سائحا ، كما نفذ 6 من عناصرها هجوما واسعا عام 1997 على معبد حتشبسوت بالأقصر مما أسفر عن مقتل 58 سائحا، بالإضافة إلى استهداف المواطنين النصارى في عدة هجمات مثل قتل 14 قبطيا في قرية صنبو بأسيوط عام 1992، وقتل 9 أقباط في الهجوم على كنيسة ماري جرجس بأبي قرقاص عام 1997.

(19) لمزيد من التفاصيل انظر : أحمد عمر - أسيوط مدينة النار- ط.سفنكس للنشر والتوزيع.

(18) مجلة "المرابطون" - العدد 9 - شهر يناير 1991 - ص36 .

انهاك الجماعة وتجربة المراجعات

أدت عمليات الجماعة إلى ازدياد البطش الأمني ضدها، فاقتحم الأمن مساجدها الكبرى كمسجد الرحمن[20] بأسوان والرحمة بأسيوط، واعتقل قرابة 20 ألف من أعضائها والمتعاطفين معهم، وقتل 434 من أعضاءها في مواجهات خلال الفترة الممتدة من عام 1993 إلى 1997[21] فضلا عن إعدام العشرات[22] من عناصرها إثر محاكمات عسكرية، بالإضافة إلى مقتل المئات منهم في السجون نتيجة التعذيب والإهمال الطبي، كما تعرض معتقلوها لأبشع أنواع التعذيب اليومي في السجون، ومنعوا من رؤية أهاليهم لأعوام طويلة، فضلا عن تعرض الجماعة لهزة قوية باختطاف مسئولها خارج مصر طلعت فؤاد قاسم عام 1995 من كرواتيا على يد المخابرات الأمريكية وتسليمه إلى مصر ليختفي إلى الأبد، بالتوازي مع التضييق على ملاذات الجماعة الآمنة بالسودان وأفغانستان.

لم تحظ الجماعة بدعم شعبي أثناء صراعها مع النظام، بل وتعرضت للنقد الحاد من قبل العديد من الجماعات والتيارات الإسلامية الأخرى. ووصلت عمليا إلى حائط مسدود، فأعلن القادة التاريخيون للجماعة داخل السجون مبادرة لوقف العنف من طرف واحد عام1997، وأجبروا رئيس مجلس شورى الجماعة بالخارج رفاعي طه[23] على الاستقالة من منصبه عقب تبنيه لحادثة الأقصر التي وقعت عقب إعلانهم المبادرة، كما أجبروه على سحب تأييده لإنشاء الجبهة العالمية لمواجهة اليهود والصليبيين عام 1998 بالتعاون مع بن لادن والظواهري.



أسامة بن لادن , أيمن الظواهري

(20) قتل الأمن في اقتحام مسجد الرحمن بأسوان 8 من أعضاء الجماعة واعتقل 100 آخرين.

(21) وزير الداخلية حسن الألفي - مصدر سابق - ص85 .

(22) أعدم 88 عنصرا من الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد في عهد مبارك، وفقا لدراسة رسمية نشرتها وزارة الداخلية المصرية عام 2012 بعنوان (مكافحة التطرف والإرهاب وأسلوب المواجهة الفكرية) - إعداد الرائد "محمد حمزة".

(23) قتل بغارة أمريكية في سوريا عام 2016 .

مثلت أحداث سبتمبر 2001 طوق النجاة للجماعة، إذ سارع الأمن المصري لتفعيل المبادرة منعا لتشكل بؤر داخل الجماعة تتعاطف مع تنظيم القاعدة ، فصدرت في يناير 2002 أولى المراجعات الخاصة بالجماعة على هيئة 4 كتب يفند فيها قادة الجماعة أطروحاتهم وممارساتهم السابقة، ثم تلاحقت إصداراتهم التي انتقدوا فيها تنظيم القاعدة. وبدأ خروج عناصرها من السجون بشكل تدريجي خلال السنوات التالية مع تقييد حريتهم في العمل العام ، بينما لم يخرج عبود وطارق الزمر إلا بعد الثورة نظرا لمطالبتهما بالسماح لهما بالعمل السياسي.

عقب الثورة أطاحت الجماعة في انتخاباتها الداخلية بكرم زهدي وناجح إبراهيم وحمدي عبدالرحمن وفؤاد الدواليبي من قيادتها، وتولى إمارة الجماعة "عصام دربالة"، كما أسست حزب (البناء والتنمية). وفازت بخمسة عشر مقعدا من مقاعد مجلس النواب في انتخابات 2011. وبدأت الجماعة تعود للمشهد العام مجددا، وإن كان تأثيرها تراجع بشكل كبير نتيجة المدة الطويلة التي قضاها معظم قادتها وأفرادها بالسجون مما أثر على متطلباتهم الحياتية، ولوجود خلافات بينية حول المبادرات وحجم التنازلات الذي قدمته الجماعة فيها، بالإضافة لعدم القدرة على تجديد دماء الجماعة بعناصر شبابية جديدة.

عقب الانقلاب العسكري منتصف 2013 انضمت الجماعة إلى تحالف دعم الشرعية، وتعرض العديد من قادتها وكوادرها للاعتقال مجددا، بل ومات بعضهم في السجون مثل أمير الجماعة "عصام دربالة" والقيادي "عزت السلاموني"، بينما سافر معظم قادة جناحها العسكري السابق إلى خارج مصر، وقُتل أبرزهم الشيخ "رفاعي طه" في الشام عام 2016 بغارة أمريكية. ومازالت تتعرض الجماعة داخل مصر لتهديدات مستمرة بحظر حزبها وتصفية نشاطها. وتظل تجربتها تجربة فريدة تقارب 45 سنة، تعرضت خلالها لضربات أمنية كاسحة، ومرت بتحولات وتطورات متنوعة تستحق التأمل والاستفادة من عبرها ودروسها.



رفاعي طه



ملامح خطة عامة للأمة الإسلاميــــة

محمد إلهامي

منذ سمعت أبيات الشعر هذه حتى حفظتها في لحظتها، كانت قوية ومعبرة عن حال الأمة إلى الحد الذي تخترق فيه القلب والعقل معا

قد استردَّ السبايا كلُّ منهزمٍ .. لم يبق في أسرها إلا سبايانا

وما رأيت سياط الظلم دامية .. إلا رأيتُ عليها لحم قتلانا

وما نموت على حدِّ الظُبا أنَفًا .. حتى لقد خجلت منا منايانا

كان أكثرها قسوة هذا البيت الأخير، فهو يُصَوِّر الأمة وكأنها في هروب جماعي من تكاليف البذل والجهاد والعطاء، والعدو من ورائها بسلاحه يقتنص ويلتقط وينتقي القتلى والأسرى والسبايا، حتى إن تلك الميتات قد خجلت أن تقع.

> وبعيدا عن لغة الشعر والأدب، ومدى مبالغاتها ومفارقتها للحقيقة، فالمهم الآن أن الأمة لم تعد تموت وهي مدبرة، بل هي تخوض أشرف المعارك وتحاول التحرر رغم الثقل الشديد للاستبداد المحلي والطغيان العالمي وما أسفرت عنه سنين الاستبداد والاحتلال من فجوة هائلة علمية وعسكرية وسياسية واقتصادية. فلئن كانت الأمة لا تزال تعاني القتل والأسر -كما يصور البيت الأول والثاني- فإنها لم تعد تهرب من المواجهة، بل يموت شبابها وهم مقبلون لا مدبرون، يدفعون ثمن التحرر من أرواحهم ودمائهم وأموالهم وأهلهم..

على أن كثرة التضحيات لا تناسب الحصاد والثمرات، لا سيما ونحن لا نزال في بداية طريق التحرر، ولا تزال عصور الملاحم قادمة، فالعدو الذي ربض على أرضنا ويتمتع بخيراتنا سيبذل كل ما لديه من طاقة بكل ما فيها من التوحش والشيطانية لئلا نتحرر [راجع: مكافحة الوهم وطبقات الاستبداد].

فأسباب عديدة تجعل التضحيات أكثر بكثير من المردود، منها الجهل بالواقع وبالسياسة وبالنظام العالمي وأساليبه وبالتاريخ والتجارب السابقة، ومنها حظ النفوس في السلطة والإمارة والوجاهة، ومنها الغلو والإفراط الذي يشوش الرؤية ويستثير الأعداء، ومنها افتقاد الخطة والمشروع والاكتفاء بمنطق رد الفعل... أمور كثيرة، نركز منها في هذا المقال على: الخطة العامة للأمة الإسلامية.



١. نظرة عامة كبرى

تعاني الأمة استضعافا عاما، من أقصى مشرقها إلى أقصى مغربها، إلا أن التفكير في الإصلاح لن يكون بالسعي وراء كل فرد في هذه الأمة المليارية لنصلحه، إن اتساع المكان وكثرة البشر فضلا عن تجارب الأمم لا تقول بهذا.

يصوغ بعضهم "نظرية العواصم"، ومعناها ببساطة في موضوعنا هذا، أن كل هذه الأمة المليارية يمكن إصلاح أحوالها عبر إصلاح أحوال مناطق معينة رئيسية مركزية منها، فنحن إن اجتهدنا في تحديد أهم البلدان التي تصلح بصلاحها مناطق واسعة سنكون قد اختصرنا الطريق كثيرا. ثم لو استطعنا تحديد العواصم المركزية الملهمة في تلك البلاد فسنكون قد اختصرنا الأمة المليارية في مدن محددة.

بعد تفكير وبحث طويل مع العديد من عقول الأمة الذين التقيتهم عبر السنوات الماضية، كانت الآراء تؤول إلى هذه المدن الست: القاهرة، مكة، اسطنبول، دمشق، بغداد، الجزائر.

هنا مفاصل الأمة ومراكزها وعواصمها، إن استطاعت الأمة تحرير هذه العواصم وإقامة دول مستقلة تملك قرارها وتستطيع حماية نفسها، فهي قد خطت أكثر من نصف الطريق نحو التحرر النهائي للأمة. ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا أن هذه العواصم هي أواخر ما سقط من الأمة في رحلة الاحتلال الغربي التي بدأت قبل 500 عام ولا تزال مستمرة، لكنها أخذت في قضم أطراف الأمة، حتى كان سقوط كل عاصمة من هذه ضربة هائلة.

تبدو اسطنبول الآن أقرب هذه العواصم للتحرر ولامتلاك قرارها، وكانت ليلة الانقلاب العسكري الفاشلة في تركيا ليلة للأمة كلها. مثلما كانت ليلة فوز الرئيس مرسي وليلة الانقلاب العسكري عليه ليلة للأمة كلها. وقد التقيت من أقليات الصين وإفريقيا وأوروبا ما أدهشني وأفزعني في الوقت نفسه: لم أكن أتخيل أن الانقلاب على مرسي في مصر قد ألقى بآثار بعيدة على المسلمين في الصين وأدغال إفريقيا والأقليات في أوروبا وروسيا والأمريكتين أيضا.

"تلك العواصم ذات أثر هائل بعيد في كل الأمة، بما لها من عمق تاريخي وحضور ثقافي وقوة بشرية وموقع استراتيجي.. وهو أمر يعرفه العدو ربما أكثر مما نعرفه نحن، ولذلك فمعركة التحرر في هذه العواصم هي أصعب وأعسر المعارك الحضارية الكبرى. ولذلك لا يجدي الهروب منها بحال فإنها واقعة لا محالة، ولا بديل عنها، اللهم إلا إذا تخيل أحد أنه بالإمكان -تجنبا لمعركة التحرر- هداية مليار ونصف المليار شخص كل على حدة، هذا مع أنهم إذا اهتدوا فسيخوضون المعركة أيضا مع الاحتلال الأجنبي الرابض!



2. الفرصة السانحة

لئن كانت تلك العواصم مؤثرة في الأمة كلها فإن من حقائق الواقع أنه قد صارت لكل بلد منها مع طول فترة انقسام الأمة ظروفها ومشكلاتها وأوضاعها التي تجعل بعضها أقرب من بعض إلى لحظة الثورة والتحرر والتغيير. ولذلك بقدر ما تبدو عواصم كدمشق والقاهرة أقرب إلى إمكانية التحرر، تبدو عواصم أخرى أبعد في المدى المنظور كبغداد والجزائر، ويثور الخلاف حول مكة ما إن كانت قريبة أم بعيدة.

في تقديري أن أهم عاصمة مرشحة الآن لحصول التغيير فيها هي القاهرة، بل إن مجرد انفلات القاهرة من الهيمنة الأجنبية الغربية هو بحد ذاته مسكب واسع للأمة وخسارة واسعة لعدوها، [راجع: عاصمة الثورة]

ولهذا فالمعركة حولها ستكون هائلة، لكن كثيرا من الأوضاع الطبيعية والظرفية تجعل الأمر أسهل من أوقات كثيرة مضت:

فمن الأوضاع الطبيعية:

أن القاهرة تختزل كل مصر، ولذلك ثورة مصر تندلع في القاهرة وتنتهي في القاهرة، لا كغيرها من البلدان التي ربما تقضي الثورة سنين قبل أن تصل إلى العاصمة. ومن الأوضاع الطبيعية أن الثورات فيها لا تطول لطبيعة القاهرة وناسها وطبيعة موقعها الجغرافي العالمي الذي يجعل كثيرا من الأطراف تحرص وتنحو إلى التهدئة.

"ومن الأوضاع الظرفية وجود ثورة لم تنطفئ ولا يزال طيفها يداعب الخيال ويغري بالتكرار لدى كثيرين، ووجود حالة سخط شعبية عارمة على السيسي ونظامه، ولا تزال قوات الأمن والجيش غير محترفة ولا يمكنها الصمود في معركة شعبية غير سلمية، والبديل المتوقع في مصر ليس خطرا جذريا على المصالح الأجنبية والنظام العالمي بما يجعل الدفع الأجنبي مائلا نحو استكشاف البدائل واختبارها لا نحو إشعال معركة دموية حفاظا على السيسي."

مجرد اهتزاز النظام العسكري في مصر يساوي ما يشبه انقلابا في الخريطة السياسية الإقليمية، ويلقي بآثاره على غزة وليبيا والسودان والخليج والشام وتركيا، أما لو توقعنا بأن الثورة استطاعت تحرير مصر فسنكون في مستوى آخر من الآمال والتطلعات، ويكفي فقط أن يتكون محور مصري تركي ليكون هذا بداية وجود الأمة كفاعل على المستوى الدولي [راجع خلاصة هذه الدراسة].

أحسب أن لو كان للأمة خليفة يستطيع تجنيد طاقة الأمة في معركة بعينها لم يكن أمامه إلا معركة مصر في الوقت الحالي. ولو أن كل صاحب طاقة ومجهود في خدمة الإسلام أنفق من طاقته في معركة الثورة المصرية لعاد عليه هذا بأكثر مما يعود على المستثمر ما ينفقه في المشروع التجاري والمالي.

أهم ما تحتاجه حركة التغيير في مصر قيادة ثورية راشدة، تجمع بين الفهم للواقع وضغوطه وإكراهاته مع تمتعها بحلم كبير وأمل واسع وثقة في الأمة وقدراتها، فالأمة لم تخذل قيادة ناصحة راشدة من قبل، بل الأمة تفاجئنا في كل مرة بما لم نكن نتوقع.

ويجب أن يكون لهذه القيادة جهاز أمني، يجمع المعلومات ويضعها في صورة الواقع، فلا تكون كالتي تضرب وتخبط خبط عشواء لا تدري أين تضرب ولا من تصالح، من تعادي ومن تصادق ومن تتجاهل، فلا تقع بهذا تحت طائلة التضليل والإشاعات ولا تحت قصف الإعلام ونباحيه ولا تحت خيالات وتصورات المتغلسفة والمنظرين الذين تكونت أفكارهم من الكتب والأكاديميات وحدها، فأولئك ولو كانوا مخلصين وقامات علمية إلا أن حظهم من معالجة الواقع ضئيل ومضلل أيضا.

إذا وُجِد هذان فما سواهما أهون وأيسر، فالطاقات المطلوبة موجودة في الأمة لكنها كالمتناثرة لا تجد الخيط الجامع لها، ولا الملتقي الذي تتكامل فيه.. وصحيحٌ أن الناس كإبل المائة لا تجد فيها راحلة، إلا أن أمتنا أكثر من مليار ونصف المليار، ولهذا فرواحلها ملايين الرواحل.

إذا تمكنت هذه القيادة من تقديم خطاب إسلامي جامع، يجمع بين الرشد والنضج وبين التمسك والحماسة له، وسارت برؤية تهدف إلى تمكين المجتمع وإخراجه من عبودية "السلطة/ الدولة" [راجع طبقات الاستبداد] فهنا يكون قد بدأ طريق نهوض الأمة الإسلامية.



بهذا التصور يمكن لجميع المتشوقين لنهضة الأمة أن يكون له عمل ودور، في مجاله وتخصصه، في جمع المعلومات وتكوين خريطة المجتمع والنافذين فيه وشبكة العلاقات المهيمنة عليه وامتداداتها الخارجية والداخلية، في فهم وترتيب الأولويات المتعلقة بإصلاح كل مجال، في صياغة الخطاب الدعوي والإعلامي والسياسي والخارجي لمختلف الشرائح والفئات.. كل هذه الملفات ستشتد الحاجة إليها وسيتلهف عليها كل ساعٍ للإصلاح، وكلما صيغت الحلول على أنماط مجتمعية لا على قرارات سلطوية كلما كان تنفيذها أيسر وأسرع، وكلما رفع عبئها عن تلك القيادة المنتظرة.

ولعلنا في يوم قريب نهجر قول الشاعر الذي افتتحنا به المقال، لننشد مع الشاعر الآخر:

يـا أمـة الإسـلام فـجـرك نـوَّرا .. والروض في ساحات مجدك أزهرا
سُحُب المعالي في سمائك أمطرت .. غـيـثـا، وأجـرت فـي رحـابـك أنـهـرا
نشرت رياحك في جوانب كوننا .. أمـنـا، وإيـمـانـا، وفـكـر نـيِّـرا
لبست به الأشجار ثوبا مورقا .. وغدت به الصحراء روضا أخضرا




الرأي العام في
معارك الحقوق
محمد شعبان صوان

من الأفكار الرائجة في أوساطنا السياسية والاجتماعية بشكل ساحق وجوب كسب الرأي العام "العالمي" ليقف إلى جانب حقوقنا فنستطيع الحصول عليها من أعدائنا، وغالباً من ينزلق الفكر والممارسة أيضاً من الرأي العام "العالمي" إلى الرأي العام المعادي، وإن هذا هو التدرج الذي أوصلنا من مخاطبة الأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية في سنة ١٩٧٤ إلى الجلوس على طاولة المفاوضات مع العدو مروراً بالجدال الذي احتدم على مخاطبة القوى "التقدمية" الصهيونية ووجوب التفريق بين "التقدمي" و"الصهيوني" حتى أوصلنا المنحدر إلى العمل تحت سلطة العدو في قمع مقاومة الشعب الفلسطيني لنحصل على رضا الرأي العام الصهيوني، الذي كان معادياً في الماضي حسب ما قالوا لنا بأنفسهم، والذي خضنا في سبيل استرضائه وكسبه معارك إعلامية وتنازلات حقيقية على أمل أن يؤدي الود الذي يبدأ بالتهنئة بأعيادهم "شنا طوفا" (أي سنة طيبة باللغة العبرية) إلى قبول أعدائنا بحقوقنا التي "كفلتها" الشرائع السماوية والدولية والإنسانية والحقوقية...إلخ، ورغم أن حروب كسب الحقوق باسترضاء الرأي العام، العالمي أو المعادي، مازالت تراوح مكانها دون أي نتيجة عملية، فما زلنا منهمكين في الاسترضاء ومحاولات الكسب ونقدم لذلك الكثير من التنازل ونستسلم بلا أي مقاومة دون أن ندري أين هو مستقر السراب الذي نلاحقه؟ فإلى أي مدى يمكننا الاعتماد على الرأي العام؟ وهل يمكننا توقع نتيجة حاسمة من ذلك؟ وما هي السوابق التاريخية التي تؤكد على هذا؟



انتصارات سابقة: كيف تحققت؟

ليس هناك أدل على مكانة الرأي مقابل القوة من الحكمة التي نطق بها الفرزدق لما سأله الإمام الحسين رضوان الله عليه عن حال أهل الكوفة فأجابه: "قلوبهم معك وسيوفهم عليك"، فليس كل ما يعتقده الإنسان يحارب من أجله، بل قد يحارب ضده، ولن يحارب أحد بالنيابة عن صاحب القضية وطالب الحق، ولكن كيف تحققت انتصارات الضعفاء في التاريخ؟ بالطبع لا يمكننا أن نقلل من أهمية الكفاح والنضال والجهاد للوصول إلى الحقوق، ولكن ليس كل نضال ينجح، ولا كل مجاهد ينتصر، ولا كل مكافح يصل إلى حقه، فالحق دون قوة تنصره لا ينتصر، بحثنا هو كيف انتصرت قضايا كان أصحابها أطرافاً ضعيفة؟ أو كيف وقف الرأي العام ضد مظالم كان في صفها قوى كبرى؟

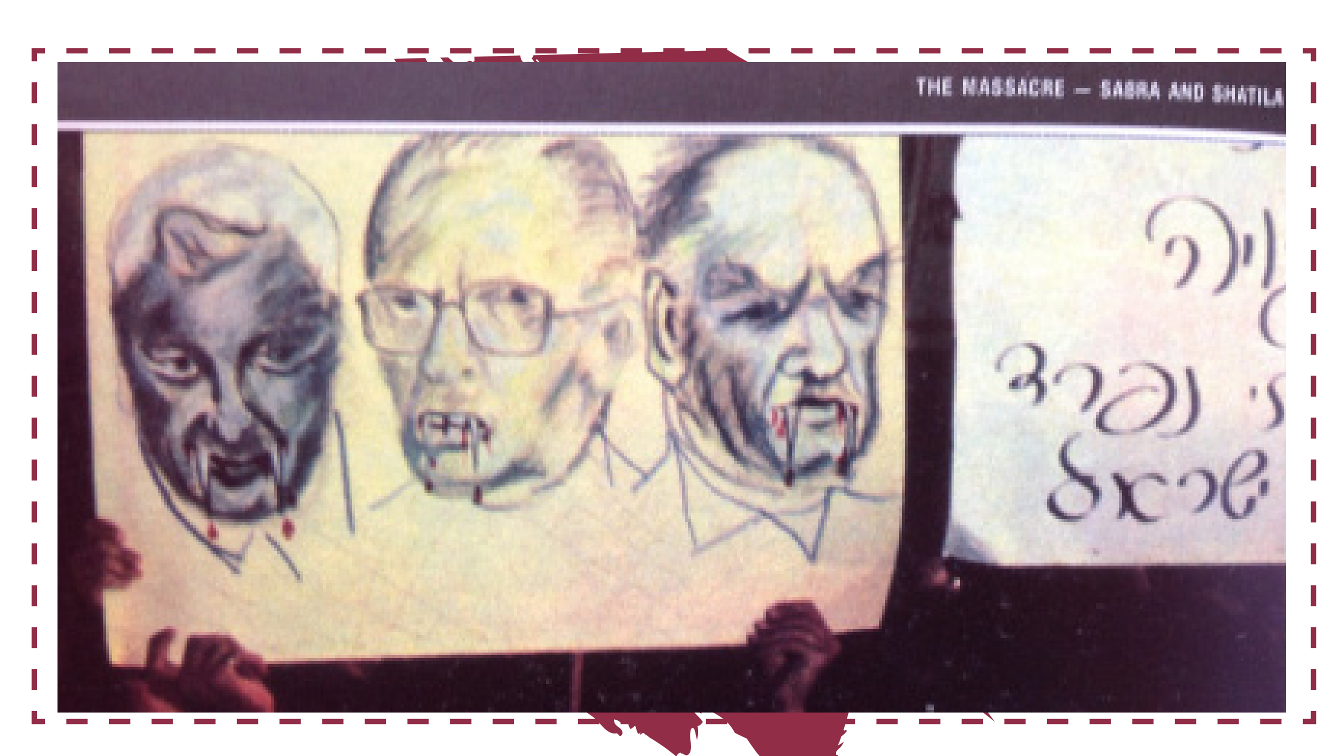
كيف انتصر العبيد وألغي الرق

طبعاً دون انتقاص جهود المقاومة وثورات العبيد، هل كان بإمكانهم وقف الدول الكبرى عند حدها لو لم تقف ضدها دول كبرى أخرى؟ هل ألغت الولايات المتحدة مؤسسة الرق وهي في حاجة إليها أم بعدما احتدم الخلاف المعيشي بين الشمال الصناعي والجنوب الزراعي وصار إلغاء الرق ضرورة شمالية للقضاء على مورد معيشة ومصدر قوة النخبة الجنوبية المنافسة؟ وهل كان يمكن للعبيد المضطهَدين أن يتحرروا لولا وقوف الشمال الصناعي إلى جانب قضيتهم على حساب قضايا أخرى مثل حرية السكان الأصليين ووجودهم وظروف معيشة العمال الأحرار البائسين؟

كيف تراجع الاستعمار القديم

وهل انكفأت الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة (البريطانية والفرنسية) بمجرد أماني الحرية أم بعدما تصدت لها الإمبراطوريات الصاعدة (الأمريكية والسوفييتية) لتحل مكانها؟ وهل يمكننا أن نستنتج شيئاً من التسوية التي تمت بعد الحرب الكبرى الأولى بين الاستعماريين ودعاة حق تقرير المصير مما أطال عمر الاستعمار وأسكت ضمائر الحقوقيين بنظام الانتداب الاستعماري المغلف بطبقة رقيقة من الإنسانية؟ والسؤال الأكثر وضوحاً في درس حالة العدوان الثلاثي 1956 : هل كان المعتدون الإنجليز والفرنسيون والصهاينة سيُهزمون لولا تصدي السوفييت والأمريكيين لهم؟ ويجب ألا ننسى أن تلك الدول الكبرى جميعها نشأت بدعم من الرأي العام الداخلي فيها، وهذا هو بيت القصيد الذي سنعود إليه.

عندما وقعت مجازر صبرا وشاتيلا بعد ملحمة بيروت سنة 1982 خرجت مظاهرات احتجاجية في تل أبيب كانت الأكبر في تاريخ الكيان الصهيوني حتى ذلك الوقت (400 ألف متظاهر)، وهذا الرأي العام نفسه هو الذي رفع مجرم المجزرة شارون إلى منصب رئاسة الوزراء بعد ذلك ، فلا تتكلوا على أي رأي عام أجنبي أو قانون دولي أو هيئة أممية أو دولة غربية لأن كل هؤلاء متقلبون ولن يعيد الحق إلا أهله لأنه لا يحس بالألم إلا صاحبه، ولا تنسوا الرأي العام العالمي الذي احتشد لمناصرة الانتفاضات الفلسطينية المتتابعة منذ سنة 1987 فكان أن جيره السياسيون لصفقات مدريد وأوسلو المذلة والظالمة التي أدت إلى مزيد من الظلم والإذلال، ولا الرأي العام الذي وقف ضد العدوان على العراق 2003 فكانت النتيجة دموع أسف مزيف بعد فوات الأوان، وكل ذلك لم يعد حقاً إلى صاحبه.



الصورة لمظاهرة صهيونية ضد المجزرة سنة 1982 ، والذين صورهم الرأي العام وحوشاً في اللافتة هم أنفسهم قادة الكيان منذ ذلك الوقت: مناحيم بيجين الذي كان رئيساً للوزراء وإسحق شامير الذي أصبح بعد ذلك في نفس المنصب وكذلك أرييل شارون، وهذا هو التعويض الذي ناله الضحايا من الاتكال السياسي على الرأي العام الصهيوني والصداقة مع الشعب الإسرائيلي الشقيق !!!

المصدر: كتاب (المذبحة: صبرا وشاتيلا وحصار بيروت)، ص 13.

عندما قام الرئيس المصري السابق أنور السادات بمبادرته السلمية وزيارة الكيان الصهيوني سنة 1977 بعد عقود من الصراع الدموي، كانت تلك "لحظة حاسمة" في تغير السياسة الأمريكية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية كما يقول المؤرخ أناتول ليفن، فقد "بينت استطلاعات الرأي الأمريكية لأول مرة تفضيل الكثير من الأمريكان سياسة زعيم عربي على سياسة حكومة إسرائيل، وكانت النسبة 57 بالمئة مقابل 43 بالمئة[1]" ، ولكن ماذا كانت نتيجة هذا التغير "الحاسم" في الرأي العام الأمريكي؟ لقد تسببت في قيام الحكومة الأمريكية برعاية اتفاقيات كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام (1979) والتي لم تحقق مصالح مصر الضيقة فضلاً عن الأحلام الكبيرة التي بنيت عليها أو حل الجزء المركزي من الصراع مع الصهاينة.

الخلاصة: أن المراهنة على تغير الرأي العام الغربي ليصبح مسانداً لقضايانا لن ينتج عنها استعادة حقوقنا بل زيادة الترتيبات التي تؤمن المصالح الغربية بأقنعة إنسانية تماما كما عرض "السلام" مع الصهاينة بطريقة مسرحية أكسبت الممثلين جائزة نوبل للسلام مع أن أحدهم وهو مناحيم بيغن إرهابي ومجرم حرب عريق.



(1) أناتول ليفن، 2008، ص 448.

نلاحظ في هذا الموضوع أن أعداءنا يراهنون على رأيهم العام الداخلي، فالرأي العام الغربي هو رديف السياسات الأمريكية والإسرائيلية الصهيونية الفاعلة في سلب حقوقنا بما لها من أرضية ثقافية ودينية وتاريخية وحضارية ونفعية مشتركة، والرأي العام الداخلي هو الذي يقيم الدول ومن ضمنها الدول الكبرى لتستطيع بعد ذلك فرض إراداتها على الآخرين، ولو أردنا كسب رأي عام فيجب أن نركز على رأي أمتنا العام وليس آراء الأمم الأخرى، ولعل هذا أحد الدروس البارزة في السيرة النبوية الشريفة التي أسست هذه الأمة، فلم يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمم الأخرى والقوى الخارجية إلا بعدما خاطب قومه وأمته وشعبه وبنى ركيزته على الدعم الداخلي، ولو حصلنا على الإسناد من أمتنا العريضة فلن يقف ضدنا عدو ولن يجرؤ على ذلك، العملاق الذي يحترم نفسه يجبر الآخرين على احترامه، ولكن الصغير الذي يستجدي الآخرين ويعتمد عليهم لن يحصل إلا على الاحتقار، وقد تسلطت على أذهاننا فكرة كسب الرأي العام العالمي حتى أصبح السياسي يرى الذيلية للأجنبي باسترضائه بتنازلات مذلة أفضل من زعامة شعبه لاسترداد حقه.

■ الدرس التاريخي العملي الذي قدمته سابقة الحروب الهندية الأخيرة (1860-1890) في التاريخ الأمريكي :

لم تكن الفترة التي أعقبت الحرب الأهلية الأمريكية استثناء في تذبذب الرأي العام الأمريكي، فمنذ أن تم القضاء على الوجود الهندي في شرق القارة واطمأن الاستيطان الأبيض هناك، أصبح حراً من مشاعر الانهماك المباشر في المعركة وصار لديه ترف الشعور بالتعاطف بل الإحساس الزائف بالذنب مع إمكان عودة المشاعر العدائية كالسابق عند أي فعل هندي مقاوم أو انتصار على العدوان الأمريكي، ورغم ذلك فقد اتضح الانقسام بين شرق الولايات المتحدة حيث لم يعد الخطر الهندي ماثلاً وبين الغرب حيث مازالت المعركة جارية، وبدأ ظهور علامات "التعاطف" منذ ما بعد الثورة الأمريكية التي سحقت الهنود، ولما استقر صلب الأمة الأمريكية في ولايات الشمال ظهرت بدايات "تفهم" محنة الهنود و"التعاطف" معهم أثناء تطبيق سياسة ترحيلهم من الجنوب إلى الغرب في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ويلاحظ هنا أن سياسة التهجير تركزت في الجنوب وليس في الشمال، وإن جرى التهجير أيضاً في الشمال بما جعله بعض المؤرخين نظيراً أو مثلاً مصغراً لما جرى في الجنوب.

إن قضية السكان الأصليين لم تفتقد التعاطف من جانب الرأي العام الأمريكي، ولكن هذا التعاطف كان مشروطاً بكون الهندي ضعيفاً ومجنياً عليه يسيل دمه دون أن يتمكن من المقاومة، فإذا انتصر لنفسه ودافع عن حقوقه وانتصر انقلب نفس هذا الرأي العام ضده وطالب بالقضاء عليه، هذا في الوقت الذي لا تنجز له مشاعر التعاطف أي انتصار حقيقي لحقوقه لو اختار الاعتماد على الرأي العام وترك القتال بنفسه.

لقد كانت قضية العلاقات مع السكان الأصليين هي وحدها التي كونت اتجاهات الرأي العام الأمريكي بل والسياسة الحكومية منذ نهايات الحرب الأهلية الأمريكية حين وقعت مجزرة "نهير الرمل" (1864)، وكانت الحوادث في السهول العظمى الأكثر أثراً في تكوين الرأي العام من أي مكان آخر في الغرب[2] ، وصارت المسألة الهندية هي الأكثر جذباً لاهتمام الناس في مرحلة متقدمة [3] .



(2) Robert M.Utley ، 2002 ، ص 172.

(3) George E.Hyde ، 1993 ، ص 158.

انقسم الأمريكيون بين شرقيين متعاطفين مع الهنود تتبنى وزارة الداخلية رأيهم، وغربيين مطالبين بالإبادة تسندهم وزارة الحرب، وكان هناك بعض "التعاطف" الذي أبداه الأمريكيون آنذاك، المهم أن الاهتمام بالمجزرة في "نهير الرمل" خبا بعد زمن قصير [4]، وأصبحت الحرب على نفس قبيلة "الشايان" مطلباً شعبياً نتيجة معركة كان الهنود قد انتصروا فيها على الجيش الأمريكي في صيف عام 1868 وأصبحت الإبادة لأجل حماية مواطني الولايات المتحدة شعاراً انتخابياً فاز بموجبه الجنرال يوليسيس غرانت (1869) بمنصب الرئاسة [5] ، ثم انقلب الرأي العام مرة أخرى نتيجة تبعات مجزرة واشيتا (نوفمبر / تشرين الثاني 1868) بعدما هتف لمرتكبها الجنرال كاستر الذي أصبح بطلاً شعبياً [6] ولكنه حصد غضب أصحاب الاتجاه الإنساني [7] مما أدى إلى توجه إدارة نفس الرئيس غرانت صاحب الشعارات الإبادية إلى تطبيق "سياسة السلام" التي دعمها إجرام الجيش في مجزرة ضد عشيرة البيجان Piagan إحدى فروع قبيلة القدم السوداء Blackfoot في 32 يناير/ كانون الثاني/ جانفي 1870 ، وهو ما أدى إلى المطالبة بكف أيدي العسكريين عن الشئون الهندية [8] ، وفي داكوتا كان الرأي العام معادياً للهنود بعد معركة فترمان (18668) ثم طالب بالسلام في معاهدة لارامي (1868) ثم تحول الرأي العام مرة جديدة ضد الهنود عندما اكتشف الذهب في التلال السوداء وصار الأمريكيون يطالبون بالاستيلاء عليها من الهنود[9] وأدى ذلك إلى حتف الجنرال كاستر (1876) فأصبح الرأي العام ضد الهنود أيضاً [10]، وهنا ارتفعت أصوات الإبادة ثانية، ثم التفت الرأي العام إلى ثلاث قضايا بارزة شدت اهتمامه لصالح السكان الأصليين ، وهي هروب قبيلة "الأنوف المخرومة" من حياة المحمية (1877) وخروج قبيلة "الشايان" من المحمية وعودتهم إلى موطنهم (1878) ومحاكمة قبيلة البونكا التي طالبت بالعودة إلى وطنها [11] (1879) ، وما أسفر عنه التأييد الشعبي لهذه القضايا كان هزيلاً جداً، فقد تعرضت قبيلة "الأنوف المخرومة" للقمع الشديد ولم تتمكن من العودة ولم شملها رغم التضحيات الكبيرة، أما قبيلة "الشايان" فقد تعرضت للملاحقة والعذاب الشديد الذي نتج عنه كثير من الضحايا ليتم حصرها في النهاية في محمية كانت هي أقصى آمالها بعد سلب كل حقوقها، أما قبيلة البونكا فقد حصلت على حكم قضائي بعد موت كثير من أبنائها في رحلة عودتهم إلى موطنهم، ويقضي الحكم بأنه لا يحق للدولة أن تجبر الهندي على العيش في محمية خلافاً لإرادته.

(4) Robert M.Utley ، 2002 ، ص 103 - 101.
(5) نفس المرجع ، ص 122-125.
(6) نفس المرجع ، ص 130 – Edgar I. Stewart 1987 ، ص 165.
(7) Robert M.Utley ، 2002 ، ص 130.
(8) John D. Mcdermott ، 1998 ، ص 122.
(9) George E. hyde ، 1975 ، ص 250 .
(10) نفس المرجع ، ص ١٨٢ – Robert W.larson 1997 ، ص 218 .
(11) Robert M.Utley ، 2002 ، ص 208-209.
(12) George E. hyde ، 1993 ، ص 228 .

،ولكن هذا الحكم لم يعمم على القبيلة نفسها فضلاً عن تعميمه آنذاك على جميع السكان الأصليين لأنه كان خطراً على نظام المحميات وسابقة قد تطيح بالسياسة الحكومية تجاه الهنود، وعندما قسمت أراضي الهنود (1889) بموجب قانون دوز (1887) لم يتساءل الرأي العام عن الوسائل المشبوهة التي تم بها هذا الأمر رغم الأصوات التي استنكرت الإكراه والخديعة والرشوة، واكتفى الرأي العام بإطراء من سعوا خلف المصلحة الأمريكية الهندية المشتركة[12] (!) ، ففي المجتمع الديمقراطي القائم على الاهتمام بمصالح الناخبين، كانت مشاكل الهنود لا تهم السياسيين، وبعد ربع قرن من الحروب الهندية الدامية كان معظم السياسيين والرأي العام من خلفهم يعتقدون أن الهندي سائر على طريق الرجل الأبيض، وأنه لم يعد عقبة أمام تمدد "الحضارة" (أي الاستيطان وهذا هو المهم)، ولم يكن الرئيس الأمريكي فضلاً عن المواطن العادي يدرك مأساة الهندي الجائع المبتلى بالأوبئة والأمراض المهلكة كالجدري والانفلونزا والحمى القرمزية[13]، وبعد ثلاثة أشهر من مجزرة الركبة الجريحة (1890) نسي الرأي العام أمرها وانشغل بغيرها [14] ، وهكذا فإن المصير النهائي الذي حل بالسكان الأصليين في مجتمع قائم على الاهتمام بشأن القاعدة الجماهيرية الناخبة يبين عقم المراهنة على تأييد الرأي العام المعادي الذي هو معني بمصالحه في الدرجة الأولى ومؤقت ومتقلب في تأييده قضايا الآخرين.



(12) George E. hyde ، 1993 ، ص 228 .

(13) David Humphreys Miller ، 1985 ، ص 19-20

(14) George E. hyde ، 1993 ، ص 319 .

وهذا التقلب هو نفسه الذي شهدناه في الرأي العام الصهيوني الذي اغتصب أرض فلسطين ثم خرج محتجاً على مجازر صبرا وشاتيلا في بيروت سنة 1982 بأكبر مظاهرة في تاريخ الكيان حتى ذلك الزمان ثم كان هذا الرأي العام نفسه هو الذي رفع مجرمي المجزرة إسحق شامير ثم أرييل شارون إلى منصب رئاسة الوزراء بعدما رفع صورهما بأنياب تقطر دماً بعد تلك المجزرة، وهذا الرأي العام الذي يراهن عليه أنصار الحل السلمي هو نفسه الذي لم يتمكن من وقف الجرائم التي اعترض بكثافة عليها سنة 1982 فلم تتوقف المجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين والعرب وما زال هذا الرأي العام يتجه يميناً كلما قام صاحب الأرض في فلسطين ليسترد حقاً من حقوقه أو حقق انتصاراً أو حتى توازناً ضعيفاً مع آلة الحرب الصهيونية الكاسحة، وما زال المسئول الصهيوني الذي يرغب في تكوين سمعة ورفع شعبيته يتوسل لذلك بالتشدد السياسي والعسكري ضد العرب والمسلمين، ولست أدري على ماذا يراهن المتعلقون بأهواء الرأي العام، فقد اجتمع العالم كله إلا شراذمه إجماعاً غير مسبوق ضد شن العدوان على العراق سنة 2003، ولكن كل المظاهرات والصيحات والتشنجات لم تنفع ووقع العدوان ودُمر العراق وذهب جميع المتظاهرين إلى بيوتهم، فماذا انتفع الضحية من كل ذلك؟ وماذا نأمل بعد كل ذلك؟

"ومن عجائب مسألة الرأي العام أن التعاطف مع الضحايا لم يكن مقتصراً على مجموعة من ذوي الرحمة والشفقة والنوايا الطيبة والإنسانيين وأهل اليسار، بل وجدنا هذا التعاطف حتى لدى الطبقة العسكرية المنهمكة في حرب وقتال وقمع السكان الأصليين، وهو ما يدل على أن "التعاطف" ليس مناقضاً للقمع، وهو تعاطف يشبه تعاطف الرأي العام في كونه ضمن إطار الحملة العامة للاستيلاء على أملاك الهنود وكان يتميز بمعرفة حقيقة المظالم التي حلت بهم لأن العسكريين كانوا هم المباشرين لها ولكن كل ما كان يرجى منهم ومن مواقفهم المتعاطفة هو الأمل، الذي كثيراً لم يتحقق، بتحسين ظروف استسلام الهنود وخضوعهم لحكم البيض المطلق.



المجلس العسكري.. طبيعة التشكيل وحدود الدور

محمود جمال



المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية هو المجلس المنوط بشؤون القوات المسلحة المصرية، طبقا للقانون رقم 20 لسنة 2014 في شأن إنشاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ويختص المجلس بدراسة كافة المسائل المتعلقة بالقوات المسلحة وإعدادها للحرب كما يقوم بدراسة وإعداد التوصيات الخاصة بشئون الدفاع عن الدولة.

وتصدر قرارات المجلس في صورة قرار أو توجيه من وزير الدفاع، وتوقع محاضر وقرارات المجلس من رئيسه وأمين سر المجلس وترسل للجهات المختصة للتنفيذ.

يتكون المجلس من رئيس الجمهورية كونه القائد الأعلى للقوات المسلحة طبقا للدستور المصري، وقادة القوات المسلحة وهم قيادات الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، بالإضافة إلى قيادات الجيوش والمناطق العسكرية، وكذلك أيضاً رؤساء الهيئات العسكرية وأمين عام وزارة الدفاع، ويترأس المجلس حالياً القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع الفريق أول صدقي صبحي، ونائب رئيس المجلس هو رئيس أركان حرب القوات المسلحة الفريق محمد فريد حجازي الذي عُين في 28 أكتوبر 2016 ، بعد الإطاحة بالفريق محمود حجازي من رئاسة الأركان[1].

المناصب التي يتشكل منها المجلس العسكري

م	الاسم	م	الاسم
1	رئيس الجمهورية	14	رئيس هيئة التسليح للقوات المسلحة
2	وزير الدفاع	15	رئيس الهيئة الهندسية للقوات المسلحة
3	رئيس أركان حرب القوات المسلحة	16	رئيس هيئة الشئون المالية للقوات المسلحة
4	قائد القوات البحرية	17	رئيس هيئة القضاء العسكري
5	قائد القوات الجوية	18	قائد الجيش الثاني الميداني
6	قائد قوات الدفاع الجوي	19	قائد الجيش الثالث الميداني
7	مساعدا وزير الدفاع للشئون القانونية والدستورية.	20	قائد المنطقة المركزية العسكرية
8	أمين عام وزارة الدفاع	21	قائد المنطقة الشمالية العسكرية
9	قائد قوات حرس الحدود	22	قائد المنطقة الجنوبية العسكرية
10	رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة	23	قائد المنطقة الغربية العسكرية
11	رئيس هيئة التنظيم والإدارة للقوات المسلحة	24	مدير إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع
12	رئيس هيئة التدريب للقوات المسلحة	25	مدير إدارة شئون ضباط القوات المسلحة
13	رئيس هيئة الإمداد والتموين للقوات المسلحة	26	قائد القيادة الموحدة لمنطقة شرق القناة.

ويضم المجلس الأعلى للقوات المسلحة أعضاء جددا له حسب الحاجة في الفترة الانتقالية، ويحق للمجلس استدعاء أي وزير عند الحاجة، مثلا استدعاء مدير المخابرات العامة للسؤال أو الاستفسار عن موضوع معين، كذلك وزير الداخلية، أو أي وزير للحديث بشأن موضوع بعينه.

(1) مصر تطورات المشهد العسكري 9 أكتوبر 2016 ، المعهد المصري للدراسات، تاريخ الدخول 11 يناير 2018 ، الرابط



قانون رقم 20 لسنة 2014

طبقا للقانون رقم 20 لسنة 2014 في شأن إنشاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة، يختص المجلس ب19 مهمه وهم على النحو التالي [2] :

1-تحديد الأهداف والمهام الاستراتيجية بما يحقق الأهداف السياسية وأهداف السياسة العسكرية التي تحددها القيادة السياسية للدولة.

2-تحديد حجم وشكل القوات المسلحة وتركيبها التنظيمي والتطور المستقبلي.

3-الاستعداد القتالي للقوات المسلحة.

4-إعداد سياسة استكمال القوات المسلحة وأسس التعبئة لها.

5-وضع سياسة إيواء القوات المسلحة ودراسة حالة الانضباط العسكري والروح المعنوية.

6-إقرار سياسة تدريب القوات المسلحة وإجراء المناورات والتدريبات المشتركة.

7-إقرار سياسة تجهيز مسارح العمليات الحربية.

8-إعداد مشروعات القوانين والقواعد المنظمة لخدمة الأفراد بالقوات المسلحة والاقتراحات الخاصة بنظام التجنيد.

9-إقرار سياسة المحافظة على أمن وسلامة القوات المسلحة.

10-استعراض تقارير قادة الأفرع الرئيسية ورؤساء الهيئات وقادة الجيوش الميدانية والمناطق العسكرية ومديري الإدارات للوقوف على حالة الاستعداد القتالي للقوات المسلحة.

11-دراسة إعلان حالة الحرب أو إرسال قوات عسكرية إلى خارج الدولة.

12-إعداد تقدير الموقف السياسي العسكري.

13-إصدار وثيقة التهديدات والتحديات العسكرية للدولة.

14-إعداد وثيقة السياسة العسكرية.

15-إعداد الدولة للحرب أو الدفاع بالتعاون مع مجلس الدفاع الوطني ومجلس الأمن القومي.

16-التعاون والتنسيق مع مجلس الأمن القومي بشأن تحديد العدائيات الداخلية ارتباطا بدور القوات المسلحة في هذا الشأن.

17-الموافقة على تعيين وزير الدفاع ويسري ذلك لدورتين رئاسيتين كاملتين اعتبارا من تاريخ العمل بدستور 2014.

18-إبداء الرأي في إعلان الحرب أو إرسال القوات المسلحة في مهمة قتالية إلى خارج حدود الدولة.

19-أي موضوعات أخرى يرى وزير الدفاع عرضها على المجلس مثل الأوضاع الاقتصادية في البلاد والأوضاع الأمنية، وضع خطط مواجهة الاحتجاجات.

(2) قراران جمهوريان بتشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الدفاع الوطني، المصري اليوم، تاريخ النشر27 فبراير 2014، تاريخ الدخول 11 يناير 2018، الرابط

وخصصت فقرة في القانون نصت على أن "يدعو وزير الدفاع المجلس للانعقاد مرة كل 3 أشهر، وكلما دعت الضرورة لذلك، ولا يكون انعقاد المجلس صحيحاً إلا بحضور أغلبية أعضائه، وتصدر قرارات وتوجيهات المجلس بأغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين، وفي حالة قيام حظر الحرب أو إعلان التعبئة العامة يعتبر المجلس منعقداً بصفة مستمرة"، ونصت المادة الثالثة، على أنه "لوزير الدفاع دعوة أي من قيادات القوات المسلحة أو من يرى من المختصين أو الخبراء من خارج القوات المسلحة لحضور اجتماع المجلس إذا تطلبت دراسة الموضوعات المعروضة ذلك، دون أن يكون لهم صوت معدود".

ولرئيس الجمهورية، بحسب القانون، دعوة المجلس للانعقاد كلما دعت الضرورة لذلك، ويتولى رئيس الجمهورية رئاسة الاجتماع في حالة حضوره.

وتصدر قرارات المجلس في صورة قرار أو توجيه من وزير الدفاع، وتوقع محاضر وقرارات المجلس من رئيسه وأمين سر المجلس وترسل للجهات المختص للتنفيذ.



يتكون المجلس الأعلى للقوات المسلحة في الوقت الحالي من 26 قائد عسكري وهم:

الاسم	المنصب
1- عبد الفتاح سعيد حسين خليل السيسي.	طبقاُ للدستور المصري فإن السيسي حالياً هو القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية، وأيضا هو القائد الأعلى لجهاز الشرطة.
2-الفريق أول صدقي صبحي رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة	وزير الدفاع المصري والقائد العام للقوات المسلحة
3-الفريق محمد فريد حجازي نائب رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة	رئيس أركان حرب القوات المسلحة
4- اللواء أركان حرب محمد عبداللاه أمين سر المجلس الأعلى للقوات المسلحة	أمين عام وزارة الدفاع
5-الفريق يونس المصري	قائد القوات الجوية
6-الفريق على فهمى محمد على فهمى	قائد قوات الدفاع الجوي
7-الفريق أحمد خالد حسن سعيد أحمد	قائد القوات البحرية
8- اللواء أركان حرب باسم رياض هلال	قائد قوات حرس الحدود
9-اللواء أركان حرب خالد مجاور	قائد الجيش الثاني الميداني
10-اللواء أركان حرب محمد رأفت سليمان الدش	قائد الجيش الثالث الميداني
11-اللواء أركان حرب أيمن عبد الحميد عامر.	قائد المنطقة المركزية العسكرية.
12- اللواء أركان حرب على عادل عشماوي	قائد المنطقة الشمالية العسكرية.
13- اللواء أح شريف سيف الدين حسين	قائد المنطقة الجنوبية العسكرية
14- اللواء أركان حرب شريف فهمى بشارة	قائد المنطقة الغربية العسكرية
15-اللواء أركان حرب وحيد عزت	رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة
16-اللواء أركان حرب عبد المحسن موسى.	رئيس هيئة التسليح بالقوات المسلحة
17-اللواء أركان حرب ناصر عاصي	رئيس هيئة التدريب بالقوات المسلحة
18-اللواء أركان حرب صلاح الدين حلمى	رئيس هيئة الإمداد والتموين للقوات المسلحة
19-اللواء أركان حرب محمد أمين نصر.	رئيس هيئة الشئون المالية للقوات المسلحة
20-اللواء عماد عبد العزيز	رئيس هيئة القضاء العسكري
21-لواء أركان حرب عبد الغنى الصغير.	رئيس هيئة التنظيم والإدارة
22-اللواء ممدوح شاهين.	مساعد وزير الدفاع للشئون الدستورية والقانونية.
23-اللواء أركان حرب محمد فرج الشحات.	مدير إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع
24-اللواء أركان حرب خيرت بركات.	مدير إدارة شئون ضباط القوات المسلحة
25-اللواء أركان حرب كامل الوزير	لواء مهندس أركان حرب
26-اللواء أركان حرب محمد المصري	قائد القيادة الموحدة لمنطقة شرق القناة

بالرغم من أن كل القيادات التي سبق ذكرها هم من يضعون أجندة الجيش المصري حالياً إلا أنه يتواجد قاده آخرون قد قاموا بالمشاركة في رسم خطة الجيش المصري التي يسير على نهجها الآن، تلك الخطة التي فقط تضمن للمؤسسة العسكرية ألا تمس مصالحها، وتقوم بالتنكيل بكل من له رأي مخالف للمؤسسة العسكرية سواء من داخل المؤسسة أو من خارجها، وكان آخر من نكل به من داخل الجيش المصري هو العقيد أحمد قنصوه الذي أعلن عن ترشحه لانتخابات رئاسية الجمهورية وحكم عليه بست سنوات سجن مع الشغل والنفاذ، هذا بخلاف ما يلقاه المدنيون العزل من أعمال قتل وتشريد على أيدي بعض أفراد وضباط الجيش المصري الذين ينفذون خطط وقرارات تلك القيادات.



فذلك المجلس بتشكيله الجديد استقر في أكتوبر 2017 ، بمعنى أن هناك قادة آخرين قد شاركوا في وضع الخطة التي مارسها ويمارسها الجيش المصري منذ الانقلاب العسكري الذي نفذ علي الدكتور محمد مرسي، أو على الأقل كانوا راضين عن ممارسات الجيش المصري، فمنذ 30 يوليو 2013 إلى وقتنا هذا قام السيسي بإخراج 28 قائد عسكري من داخل الجيش المصري وأغلبهم كانوا أعضاء بالمجلس العسكري المصري



المنصب	الاسم
قائد قوات الدفاع الجوي السابق.	1-الفريق عبدالمنعم التراس
قائد القوات البحرية السابق.	2-الفريق أسامة منير ربيع
قائد القوات البحرية الأسبق.	3-الفريق أسامة الجندي
قائد الجيش الثاني الميداني الأسبق.	4-اللواء أركان حرب أحمد وصفي
قائد الجيش الثاني الميداني السابق.	5-اللواء أركان حرب ناصر العاصي
قائد الجيش الثالث الميداني الأسبق.	6-الفريق أسامة عسكر
مدير المخابرات الحربية السابق.	8-اللواء صلاح البدري
مدير المخابرات العامة السابق.	8-اللواء محمد فريد التهامي
قائد المنطقة الشمالية الأسبق.	9-اللواء أركان حرب سعيد عباس
قائد المنطقة الشمالية الأسبق.	10-اللواء أركان حرب محمد سليمان الزملوط
قائد المنطقة الشمالية السابق. (لقي مصرعه في حادث)	11-اللواء أركان حرب محمد لطفي يوسف
قائد المنطقة الجنوبية الأسبق.	12-اللواء أركان حرب محمد عرفات
قائد المنطقة الجنوبية السابق.	13-اللواء أركان حرب يحيي طه الحميلي
قائد المنطقة الغربية الأسبق.	14-اللواء أركان حرب محمد المصري
قائد المنطقة الغربية السابق.	15-اللواء أركان حرب وحيد عزت
رئيس هيئة التسليح السابق.	16-اللواء أركان حرب محمد سعيد العصار
رئيس هيئة التنظيم والإدارة السابق.	17-اللواء أركان حرب أبو الدهب
رئيس هيئة العمليات السابق.	18-اللواء أركان حرب توحيد توفيق
رئيس هيئة العمليات السابق	19-اللواء أركان حرب محسن الشاذلي.
رئيس هيئة الإمداد والتموين..	20-اللواء أركان حرب جمال إسماعيل
رئيس هيئة التدريب الأسبق.	21-اللواء أركان حرب إبراهيم النصوحي
رئيس الهيئة الهندسية الأسبق.	22-اللواء أركان حرب طاهر عبدالله
رئيس الهيئة الهندسية السابق.	23-اللواء أركان حرب عماد الألفي
رئيس هيئة القضاء العسكري السابق.	24-اللواء أركان حرب مدحت غزي
قائد قوات حرس الحدود.	25- اللواء أحمد إبراهيم.
المتحدث العسكري الأسبق.	26-العقيد أحمد علي
المتحدث العسكري السابق.	27-العميد محمد سمير
رئيس هيئة الإمداد والتموين السابق	28-اللواء عبد المرضي عبد السلام

(3) مصر: إقالة رئيس الأركان ـ الأبعاد والتفسيرات، المعهد المصري للدراسات، تاريخ النشر30 أكتوبر 2017 ، الرابط

أيضاً من أهم أحد راسمي سياسات الجيش المصري المشير محمد حسين طنطاوي وكان وزير الدفاع والإنتاج الحربي المصري، والقائد العام للقوات المسلحة وعضو مجلس الوزراء، منذ 4 أبريل 1993 ، حتى إقالته في 12 أغسطس 2012، وإلى وقتنا هذا لم يختف المشير طنطاوي من المشهد فهو يحضر أغلب الفاعليات التي تنظمها القوات المسلحة، وله دور بارز أيضا في اختيار القادة الجدد للجيش المصري، وهو من قام بعملية تسليم وتسلم قيادة الجيش الثاني الميداني[4] والتي قد تمت في 80 مايو 2017 ، في وجود وزير الدفاع صدقي صبحي ورئيس الأركان وقتها الفريق محمود حجازي وعدم وجود عبدالفتاح السيسي، وسلم وقتها المشير طنطاوي قيادة الجيش الثاني الميداني للواء أركان حرب خالد مجاور قائد للجيش الثاني الميداني بدلاً من اللواء أركان حرب ناصر العاصي.



هذا بخلاف ما يقال بأن "طنطاوي" هو من أختار الفريق محمد فريد حجازي لكي يخلف الفرق محمود حجازي في رئاسة الأركان، وما يدار عن العلاقة التي تربطهم منذ كان محمد حجازي أمينا عاما لوزارة الدفاع في وقت كان فيه طنطاوي وزيراً للدفاع، فالمشير حسين طنطاوي ما زال الفقرة الأهم داخل المجلس العسكري إلى الآن ويصفه البعض بأنه "عراب" الجيش المصري، وأنه أحد أهم راسمي سياسات الجيش وحلقة الوصل بين المؤسسة العسكرية وداعميها الإقليمين والدوليين، وعلى رأسهم كل من السعودية والإمارات وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وكانت في 15 نوفمبر 2011 م، قد وصفت صحيفة "لوموند" الفرنسية في تقرير لها باسم محمد حسين طنطاوي الخيار المثالي لأميركا و"إسرائيل" وفي فقرة تحت عنوان "مطمئن خارجيا" تقول لوموند من خلال عشرات سنوات يبدو طنطاوي المرشح المثالي خصوصا للولايات المتحدة و"إسرائيل" الذين يقيم معهم علاقات كثيرة.

(4) بالصور.. وزير الدفاع يشهد مراسم تسليم قيادة الجيش الثاني لـ "خالد مجاور"، اليوم السابع، تاريخ النشر 28 مايو 2017، تاريخ الدخول 11 يناير 2018، الرابط

تلك القيادات هي من وضعت وأقرت السياسة الحالية للجيش المصري، وإن ظهر خلاف بين بعضهم فيما بعد فهو بسبب مصالح شخصية ليس إلا، وهذا كما وصف إيريك تريجر الباحث بمعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، "داعم للنظام العسكري في مصر" الوضع داخل المجلس العسكري.

وإن كان من ضمن هؤلاء قادة منضمون حديثاً للمجلس العسكري، لكن معظمهم في يونيو 2013 م، كانوا في مراكز عليا داخل الجيش المصري كرؤساء أركان مناطق وجيوش عسكرية وقادة أسلحة كالمدفعية والمشاة وغيرها، وما كان لهم أن يصلوا إلى مراكز عليا تمكنهم من أن يكونوا أعضاء بالمجلس العسكري إلا لأنهم متماهون مع المنظومة العسكرية في النهج الذي تسير علية منذ يونيو 2013 م.

وأيضا هؤلاء القادة منهم من أصبح ليس له أي صفة رسمية داخل المجلس العسكري الحالي، ولكن كل القيادات التي خرجت من المجلس العسكري عُينوا مساعدين ومستشارين لوزير الدفاع، ومنهم من خرج وأعلن بعد خروجه من الخدمة أن المجلس العسكري أثناء انقلاب 30 يوليو 2013 م، وما ترتب عليه كان مع ما فعله السيسي، وما صرح به قائد قوات الدفاع الجوي السابق الفريق عبد المنعم التراس مؤخراً أثناء لقائه بمجموعة من دعاة وزارة الأوقاف، في مسجد النور في العباسية دليل علي هذا، حيث قال إن السيسي تحرك في 30 يونيو بعد رسالة أرسلها له بأنه يقوم" بدرء المفسدة وتخليص البلاد من الفتنة".

وتلك القيادات التي قد قام السيسي بإخراجها من المجلس العسكري ما أطاح بهم إلا لأنه قائداً لانقلاب عسكري، وديدن من يقومون بانقلابات عسكرية أنهم يبعدون شركاءهم في تنفيذ الانقلاب من مراكز قواهم حتى ينفردوا بالحكم وكي يأمنوا خيانتهم، حتى لا يفعلوا بهم كما فعلوا بغيرهم.



ويري البعض أنه بناء على قرارات تلك القيادات تعيش الدولة المصرية أصعب مراحلها في تاريخها المعاصر على كل المستويات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد كل ما شهدته الدولة المصرية على مدار الأربعة أعوام الماضية لم تتراجع تلك القيادات عن قراراتها التي أدخلت الدولة في نفق مظلم، بل تقوم إلى وقتنا هذا بإعطاء الأوامر باستخدام وسائل العنف تجاه من يخالف قراراتهم وتوجهاتهم، ولكن هذا العنف المستخدم من قبل الجيش المصري، سيولد مزيداً من الجماعات والأفراد التي ستنتهج الأساليب المناسبة لمواجهة ذلك العنف.

"ويوماً بعد يوم ونتيجة تلك الممارسات التي تسير عليها قيادات المؤسسة العسكرية، ستزداد الشرائح التي ترغب في تغيير الوضع الحالي، ليس شرطا أن يكونوا مدنيين قد طالهم الظلم، بل أيضاُ قد يكونون من داخل المؤسسة العسكرية وفي مستويات مختلفة داخل الهيكل، قد يحذون نهج ضابط الصاعقة هشام عشماوي وضابط الصاعقة عماد عبد الحميد، الذين قرروا التغيير بمواجهة النظام بالسلاح، أو كنموذج العقيد أحمد قنصوه [5] الذي أراد تغيير نهج المؤسسة العسكرية ولكن بالطرق الدستورية والقانونية من وجهة نظرة وقام بالترشح لرئاسة الجمهورية، وقد يكون هناك أفراد آخرون متواجدون داخل المؤسسة العسكرية راغبين في تغيير الوضع المزرى داخل المؤسسة، ولكن لن تعتمد طريق "عشماوي" ولا طريق "قنصوه" بل من المحتمل أنها ستتبع طرق أخري قد يرونها أنها ستحدث ذلك التغيير المأمول، وتسريب معلومة زيارة صدقي صبحي ومجدي عبد الغفار إلى سيناء والتي بناء عليها قد استُهدفت طائرة وزيري الدفاع والداخلية قد تكون إحدى هذه الطرق [6]."



(5) محكمة عسكرية تقضي بحبس العقيد قنصوه 6 سنوات على خلفية إعلانه نيته للترشح للرئاسة، مدي مصر، تاريخ النشر 19 ديسمبر 2017 ، تاريخ الدخول 11 يناير 2018 ، الرابط

(6) ما وراء استهداف طائرة وزير الدفاع المصري، تقدير موقف، المعهد المصري للدراسات، تاريخ النشر 27 ديسمبر 2017 ، الرابط

سلسلة كتب مختصرة (الكتاب الرابع)
مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني (2)



ما نشبت الحرب العالمية الثانية في أواخر سبتمبر 1939 ازداد الضغط البريطاني على فرنسا لمطاردة الفلسطينيين والقضاء على الثورة، وألحت بريطانيا على حليفتها فرنسا كي تسلمني إليها لاعتقالي في إحدى الجزر النائية، وأخذت السلطة الفرنسية تنتهز الفرصة الملائمة لتلبية طلب الإنجليز وتسليمي لهم.

اشتدت المراقبة علينا بنشوب الحرب العالمية الثانية، وكثر جواسيس الإنجليز، وتستخدم المخابرات البريطانية عددًا ضخمًا منهم، وقد عرفت بعضًا منهم مثل الرجل المشعوذ الذي يفتح البخت، وآخر ماسح أحذية كان يقف بباب الحرم القدسي، وثالث كان يتسول بباب المسجد الأقصى، ورابع كفيف كان يرابط داخل الأقصى متجسسًا على المدرسين والوعاظ، وغيرهم من الجواسيس.

وقد اضطرنا ضغط المخابرات البريطانية وملاحقتها الشديدة لنا أن نقوم بدفاع ومقاومة من نفس العمل، فأنشأنا دائرة خاصة لمقاومة التجسس، وأفدنا من ذلك فوائد كبيرة، واستطعنا أن نحصل على معلومات دقيقة لما كان يدور بين السلطات البريطانية في لندن، وسلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، وبين السلطات الفرنسية في لبنان بشأن التدابير التي تقرر اتخاذها لاعتقال رجال اللجنة العربية العليا.

في 13 تشرين الأول 1939 وبعد عامين كاملين من إقامتي بلبنان غادرت إلى بغداد بعد خطة قمنا بوضعها وتحديد موعدها بدقة، وكانت الرحلة من لبنان إلى دمشق ثم إلى بغداد. وصلت إلى العراق وذهبت إلى البلاط الملكي، واستقبلنا رئيس الديوان، وقابلنا -أيضًا- الوصي الأمير عبد الإله.

سهلت السلطات العراقية الأمور لنا، وكفلت معيشة قادة الثورة وكبار المجاهدين، واتفقنا على ألا يتدخل الفلسطينيون خلال إقامتهم بالعراق في الشؤون الحزبية أو السياسة المحلية. ساور الإنجليز القلق الشديد من وصولي وإخواني المجاهدين إلى العراق، وكانت السفارة البريطانية في بغداد تبادر بالاحتجاج لحكومة العراق على كل حركة من حركاتي.

وصلتنا معلومات أن الإنجليز يخططون لخطفي ونقلي خارج العراق، فتم تخصيص دورية قوية من الجيش العراقي لحراستي.

طلبنا من السلطات العراقية أن يقوم الجيش بتدريب المجاهدين الفلسطينيين تدريبًا عسكريًّا فوافقت، كما قبلت عددًا من الشبان في دورة ضباط الاحتياط في الكلية الحربية العراقية.

كان الجيش العراقي على باب معركة دموية داخلية عندما استقالت وزارة نوري باشا السعيد 1941، حدث نزاع حول من يتولى مكانه، فتدخلنا للصلح بين الأطراف، وكلل الله جهودنا بالتوفيق، وصفا الجو في العراق.

ألف السيد رشيد عالي وزارته التي ألغت الأحكام العرفية فور تأليفها، ونالت ثقة الجيش والشعب؛ لوقوفها في وجه المطالب الاستعمارية.

حاول الإنجليز حشد جيوشهم في العراق وحمله على قطع السياسات مع إيطاليا، لكن الوزارة الكيلانية رفضت، وسرعان ما نشبت الحرب بين العراق وإنجلترا في شهر مايو 1941.

كان لانتصارات ألمانيا المتتالية ولهزائم بريطانيا وحلفائها المتلاحقة تأثير عظيم على العراق وسائر العرب، وقد وقر في نفوسهم أن بريطانيا وحلفائها من المستعمرين هم سبب البلاء، وأصبحوا يعتقدون أن كل ضعف يصيب بريطانيا وحلفائها هو قوة لهم، وأن أعداءها هم أصدقاؤهم.

زارني طه باشا الهاشمي وحدثني ملمحًا بفكرة الاتصال بألمانيا، وأن يكون ذلك بواسطة المنظمات الفلسطينية؛ إذ من غير المناسب أن تقوم بذلك الدول المرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات، وكانوا يرون أن يتم اللقاء بواسطتي، فأجبته -نحن الفلسطينيين- لا نملك الأسباب والوسائل لذلك، والواقع أني لم أكن مطمئنًا لبعض العناصر التي كانت معنية بهذا الأمر.

تتابعت الأحداث في العراق، وبرز في ميدانه فريقان يختصمان، أما أحدهما فالإنجليز وأتباعهم، والثاني فصفوة الأحرار المخلصين.



كانت الحرب بين العراق وبريطانيا على أشدها، وعلى إثر ذلك تحرجت الحالة في منطقة القتال بجبهة بغداد، وفكرت الحكومة العراقية وقيادة الجيش العراقي في الانسحاب إلى منطقة الموصل واتخاذها مقرًّا للدفاع والمقاومة، لكن الأحداث توالت بسرعة، ولم تتمكن الحكومة وقيادة الجيش من الانتقال إلى الموصل، واضطررت لمغادرة العراق إلى الحدود الإيرانية، واللجوء إلى إيران.

كان للطابور الخامس أثر كبير في الفشل الذي منيت به حركة العراق، وكان هذا الطابور يتألف من عناصر كثيرة أهمها اليهود في العراق.

كان الإنجليز يحرصون على إثارة الأشوريين واليزيديين وغيرهم من الطوائف غير المسلمة، وعلى المباعدة بين المسلمين أنفسهم من أهل السنة والشيعة، كما حرضوا الأكراد وأثاروهم، وفقًا لخطتهم الاستعمارية المعروفة: فرق ثم احكم.

كان لـــزامًا على العراق أن ينشئ إدارة مخابرات قوية لإحباط تلك المؤمرات، وقد دهشت لما علمت بعدم وجود ذلك الجهاز، فاقترحت عليهم إنشاءه، فقال طه باشا الهاشمي وكان وزيرًا للدفاع: لا يجدر بنا أن نفعل كما كان السلطان عبد الحميد يفعل من التجسس على الناس. فقلت له: لعل عناية السلطان عبد الحميد بالمخابرات كانت من أعمال السلطان الذي ضاق الأعداء والمستعمرين ذرعًا بنباهته ودهائه، ولست أعني التجسس على المواطنين الصالحين، بل بث العيون والأرصاد لمعرفة أخبار الأعداء، وتتبع حركاتهم وأعمالهم.

ومن الحق أن نقول: إن الغفلة عن أهمية المخابرات كانت عامة في أكثر الأقطار العربية، ففي مصر -مثلاً- وصل الأمر أن تولى دومفيل مدير المخابرات البريطانية رئاسة مخابرات الطيران في الجيش المصري في العهد الملكي.



كانت الحكومة العراقية قد بذلت جهدها للحصول على أسلحة للجيش من بعض الدول الصديقة، فوصلها بعض الطائرات الحربية الألمانية والإيطالية، لكن لم يكن لوصولها الأثر الفعال المنتظر؛ لأن العراق الذي يتدفق البترول من أرضه قد حرمته الشركات الاستعمارية من إنشاء مصفاة للبترول الخاص بالطائرات، فكان يستورد بعض حاجة القوة الجوية من (عبادان) في إيران، ولما قامت الحرب لم يكن في استطاعة العراق تموين طائراته ولا الطائرات القادمة لمساعدته من ألمانيا وإيطاليا بالوقود، فظلت مكانها معطلة.

كنا في هذه الظروف نبحث أحوال الأمة العربية مع الصفوة المخلصة من أحرار العرب في العراق، بالتعاون مع الحكومة الكيلانية، وانتهى التفكير والبحث إلى محاولة الاتصال بالألمان للتعاون معهم على الوصول إلى هذه الأهداف الوطنية، وكلفنا أحد شباب العرب من طرابلس السيد عثمان كمال حداد بالاتصال بالألمان؛ نظرًا لإجادته عدة لغات، وأصدرت السلطات الألمانية قرارًا بمساعدتنا واعتبارنا حليفًا لها.

لقد وضح من الحوادث التي سردناها عن معركة العراق وما اعتزمته ألمانيا من مساعدة للعرب والعراق أن فرصة ثمينة نادرة سنحت للأمة العربية لو أنها استطاعت انتهازها لجنت ثمارها، ولقضت قضاءً مبرمًا على الكيان الصهيوني في فلسطين، لكن أهم العناصر التي فوتت تلك الفرصة الذهبية على الأمة العربية بضعة أفراد من أبنائها استمات بعضهم في مناصرة الاستعمار في سبيل منافعهم الخاصة ومناصبهم، وتخاذل بعضهم الآخر خورًا وجبنًا.





في إيران

خرجنا من بغداد منتصف ليل 29 مايو 1941، وكان وصولنا طهران يوم 3 يونيو، وطالبتنا الحكومة الإيرانية بكل أدب واحترام بأن نلتزم شروط اللاجئين السياسيين، وأن لا نقوم بأي نشاط سياسي، لذا لم يعد بوسعنا تنفيذ خطة مساعدة الألمان لنا.

نشبت الحرب بين ألمانيا وروسيا بعد وصولنا بأقل من ثلاثة أسابيع، وأخبرني أحد القادة العراقيين أنه اطلع على خطة من قبل الحلفاء لاحتلال إيران، فأطلعت الحكومة الإيرانية على تلك الخطة، فشكروني وأخبروني أنهم ليسوا على عداء مع إنجلترا، ولا يتوقعوا منها عدوانًا، لكن لم يمضِ على حديثي معهم بضعة أسابيع حتى حدث العدوان مثل الخطة التي أخبرتهم عنها بالضبط.

على إثر إعلان ألمانيا الحرب على روسيا قررنا مغادرة إيران إلى تركيا، طلبنا إذنًا بالدخول فاعتذرت السلطات التركية عن عدم السماح لي ولأسرتي بالإقامة كلاجئ سياسي.

دخلت القوات البريطانية طهران وأذاع قائدها بيانًا بمكافأة قدرها 25 ألف استرليني لمن يقدم معلومات تؤدي إلى القبض على المفتي حيًّا أو ميتًا.

اضطررت للهرب بأعجوبة نحو الحدود التركية، حتى وصلت إسطنبول بدون أن تعرف السلطات التركية، ثم سافرت بسرعة إلى بلغاريا.

عرفت أن أسرتي في طهران قد تم القبض عليها وزجوا بها في سجن الأهواز المعروف بقذارته، وكان عدد أفراد الأسرة عشرة ما بين سيدات وأطفال، فحشروهم جميعا في غرفة واحدة، ولبثت الأسرة 52 يومًا في السجن وصدر قرار بنقلها إلى البصرة في عربة لوري، ثم تم نقلهم بكل قسوة إلى بغداد لترحيلهم إلى القدس، لكن الناس تجمهروا وتمردوا على تلك القرارات، فتم السماح لهم بالذهاب إلى بيتنا في بغداد لمدة أيام، ثم نقلوهم إلى القدس.

تحركت إلى بودابست، ثم تابعت السفر بالقطار إلى إيطاليا، وكان قصدي الاتصال برجال دولتي المحور لاستئناف المباحثات التي بدأنها في العراق.

» بعد بضعة أيام من وصولي روما قابلت الدوتشي موسوليني في قصر فينيسا، بسطت له مطالب العرب الرئيسية وهي :

- الاستقلال الكامل
- والسيادة التامة في جميع أقطارهم،
- إنقاذ فلسطين من المؤامرة الاستعمارية الصهيونية،
- وإلـغاء الـوطـن الـقـومـي لليـهــود فيهـا

وقلت له: إن مقاومتنا لليهود لم تكن بحافز من التعصب الديني، بل دفاعًا عن كياننا وبلدنا، وإن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الأقطار العربية هي علاقات وثيقة بين مواطنين متحدين متعاونين.

فأجابني قائلاً: إني أعلم هذا، وأعلم الكثير عن أحوالكم، ولاسيما دينكم، ولقد درست القرآن والتاريخ الإسلامي، وأعرف تسامح الدين الإسلامي، ولكن هؤلاء لا يعلمون. قال هذا وأشار إلى البارون انفوزو الذي كان واقفًا على قدميه.

كمـا قـال لـي -أيضًا- موسوليني: إن مطالبكم جديرة بالاحترام والتحقيق، وإن إيطاليا مستعدة أن تعترف بذلك، وتساعد على تحقيق استقلال الأقطار العربية، أما الوطن القومي لليهود فلكم كل الحق في مقاومته، ونحن معكم في ذلك، فاليهود في إيطاليا لا يزيد عددهم عن 45 ألفًا من بين 46 مليون إيطالي، ولهم كل حقوق المواطنة، لكنهم رغم ذلك ليسوا موالين لها، فكل واحد منهم جاسوس عليها وداعية ضدنا، فهم طابور خامس لبلادنا، ولذلك فإن موقفنا منهم سيكون مثل موقفهم منا.



موسوليني

ولما علم أني أعتزم السفر إلى برلين قال لي: أرجو أن توجه نظرهم هناك، ولا سيما الفوهرر إلى أهمية منطقة الشرق الأدنى، لاسيما قناة السويس؛ فإنها حلق الإمبراطورية البريطانية، فمنها نستطيع خنقها وإخماد أنفسها، إنها أهم من كل جبهة.

ولقد كان موسوليني -كما علمت فيما بعد- معارضًا فتح الجبهة الروسية، وكان ينصح باجتناب الدخول في قتال مع روسيا الواسعة الأرجاء.

على الرغم من سيطرة موسوليني على إيطاليا، إلا أنه لم يستطع أن يناوئ السيطرة الروحية للكنيسة على نفوس الشعب الإيطالي، ولم يسعه إلا الاعتراف بالفاتيكان كدولة مستقلة ذات سيادة، وكان بداخلها سفراء الحلفاء وباقي الدول المناوئة لإيطاليا، وهم ينقلون ويتجسسون على كل الأخبار داخل إيطاليا بحرية تامة، بفضل الفاتيكان.

لمست خلال الأعوام الخمسة التي قضيتها في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية أن الكتلة الكاثوليكية الملتفة حول الفاتيكان، هي قوة عالمية عظيمة ذات قيمة كبيرة في الميزان الدولي، وأنها ساهمت بسبب كبير في مقاومة ألمانيا ودول المحور، وبالتالي في نتيجة الحرب العالمية الثانية، وقد كتبت في فرنسا حين كنت معتقلاً عقب الحرب إلى عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية، ولفت انتباهه لأهمية الفاتيكان، واقترحت عليه أن يحمل مصر وغيرها من الدول العربية على تبادل التمثيل السياسي معه، ولم يكن لأي دولة عربية حينئذ سوى لبنان من تمثيل سياسي معه.



الكتاب الأصلي من إعداد: عبد الكريم العمر، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1999م، عدد الصفحات: 546

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الأية (52)



إنه رسول الله

أ. حازم صلاح أبو إسماعيل

دماء الشهداء .. والحرية الحمراء

د. عطية عدلان

التصور الإسلامي للعلاقة بين الحاكم والمحكوم (4)

حرية الرأي والتعبير

د. البشير عصام المراكشي

العدد السابع , فبراير 2018 | كلمة حق

www.klmtuhaq.blog

إنه رسول الله !

الأستاذ. حازم صلاح أبو إسماعيل



"جمهور الأمة الإسلامية لا يعرف فى الحقيقة من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فلنكن صرحاء.. إن أغلبنا يعرف واقعة أوقصة، مثل جمعه الحطب، وأنه رحيم بالصغار، وكان رحيما بالكبار، لكن النادر القليل هومن يستطيع أن يعبر عن شخصية رسـول الله صلى الله عليه وسلم تعبيرا كاملا حتى كأنك تراها."

ذلك أنه لم يُقصد أن نتعلم ونعلم شخصية رسول الله، بل مجرد شذرات تقال في المناسبات، فإذا أريد الحديث عن الرحمة استدعي من مواقف النبي ما فعله في الرحمة، أو أريد الحديث في العدل استدعيت مواقف العدل، أوالشجاعة استدعيت مواقف الشجاعة.. إلخ، أما أن تعلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكامل فهذا أمر مقصود أن لا يعرفه المسلمون.

لابد أن نصحح هذه الصورة التي تنسب إلى النبي حسن الخلق وسمو الطباع لكنها تجهل ملامح شخصيته: كيف يفعل إذا أقبل وإذا أدبر وإذا تصرف وإذا ما كان في موقف غضب أو موقف رضا.. إلخ.

- - - - -

وأهمية التعرف على شخصية النبي (ص) هو في أنها تقربنا من حقيقته الكاملة، وذلك أن الشخصية الواحدة فيها متقابلات، فقد تجد إنسانا بالغ الحياء وهو -لهذا- ليس شجاعا ولا مقداما، بل إن حياءه قد يؤذيه ويدفعه إلى السكوت عن منكر. وقد تجد إنسانا غضوبا للحق لا يقبل أن ينتهك الحق عنده ويثور لكي تعود الحقوق لأصحابها، ولكنه تعود هذا الغصب فما يستطيع أن يكون رفيقا سمحا حلوا طيبا. ولذلك فمن القصور أن يتحدث الداعية عن الخلق الواحد فيستقر في أذهان السامعين دون أن يتحدث عن الأخلاق المقابلة التي قد تشتبه به أوقد تتعارض معه. ومن هنا فإن القلة القليلة هي التي تعرف على التيقن والحقيقة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.



إن الداعية إذا تحدث مرة عن سماحة النبي ورحمته، ثم تحدث مرة أخرى عن زهده، ومرة ثالثة عن عبادته، ومرة رابعة عن شجاعته.. فإنه يخطئ حين يترك التوفيق بين هذه الأخلاق للناس دون أن يبين ذلك لهم.

فالناس لا يستطيعون الجمع والمزج بين هذه الأمور كعلم يصلون به إلى الحقيقة. ومن هنا تفقد الأمة التصور الكامل لشخصية النبي فتفقد بذلك حسن الاتباع والتطبيق لقول الله تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 12].. إذ كيف يعرفون الأسوة الحسنة؟!

ربما الواحد منهم يذهب إلى المسجد مبتسما ويصافح ويبش في وجه صاحبه، ويظن هذا تطبيقا لسنة "اللقاء بالناس"، لكنه إذا عاد إلى البيت غضب وتجهم، ويظن أن هذا "غضب للحق"، كأنما ليس في البيت سنة للقاء الأشقاء أوالوالدين، وكأنما ليس في الطريق أو المسجد غضب لانتهاك حرمة الله! ولهذا ففي التعرف على شخصية النبي نعرف ونتعلم كيف نقابل بين الصفات لنخرج منها مفهوما واحدا وصياغة واحدة ومعنى واحدا.

إن أكثر الذين يظنون أنهم يقتدون برسول الله لا يقتدون به إلا المظاهر والقشور، وقليل جدا من الناس من اهتم بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم في الأمور الكبرى.

انظر مثلا إلى كفاءة النبي وانظر كم من يقتدي بها؟ قد يعجب الرجل برجل لصفاته الشخصية: هدوئه واتزانه وتبسمه وأدبه والتزامه بالمواعيد ولطفه.. لكن بمجرد أن يُكلَّف بعملٍ إذا بالعمل ينهار بين يديه، لأنه ليس كفئا، لا يعرف كيف يدير العمل.

والعكس صحيح أيضا: فقد يعجب المرء بإنسان كفء تشهد له نجاحات العمل بالأرقام والأوراق، فما أن يلقاه حتى يجده سيئ الأخلاق: سليط اللسان أو كذابا أو منافقا أولا يلتزم بالمواعيد.



إن المسلم يحتاج إلى أن تكتمل تصوره عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، لكي يعلم كيف رباه ربه كما في الحديث "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، ونحن لن نفهم كيف أدبه ربه إلا إذا اكتملت لدينا صورة الشخصية؛ فالمرء فينا إذا حُدِّث عن غلام مؤدب: أخلاقه وكفاءته وعقله وأدبه وسلوكه ونجاحه، يتشوق ساعتها إلى أن يعرف كيف رُبِّي هذا الولد، وكيف بلغ هذا.

" إن بعـض المسلميـن يتوهـم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان درويشا، إذا ظلمه أحد عفا عنه، إذا أغضبه أحد سامحه، وإذا رأى فقيرا أو جائعا أعطاه وأطعمه، يهش ويبش لأصحابه حتى إذا صافح أحدا منهم لم ينزع يده حتى ينزع.. وهكذا ! لكن إذا رجعنا إلى الحق، واستعرضنا وقائع السيرة سنجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجلا فذا متفردا لا مثيل له، كان عقلية لو وضعت عباقرة العالم سواء فى التاريخ القديم أو الحديث لرجحت بهم، وأقصد العباقرة في أي مجال: السياسي، العسكري، الإداري، الإصلاحي.. إلخ. "

كان شخصية ذكية، متفردة، كان عالما مثقفا مدركا يفهم ما حوله، ويفهم المرامي البعيدة، والأسرار، كان ذا ذاكرة قوية، نشيطا وافر المجهود، قويا، محببا إلى الناس، كان صورة متميزة عمن حوله.

وكان في غاية النظام في كل كبيرة وصغيرة ، يعرف خطوات طريقه، فما أوحاه الله إليه أدركه، وما تركه الله له من خطوات وتخطيط استعد له وعمل حسابه، ماذا سيفعل اليوم؟ وماذا سيفعل غدا؟ وماذا بعد غد؟ وما الذي يؤجل؟ وما الخطوات التي تتخذ قبل هذه الخطوة، وكم يستلزم ذلك من الوقت.. وهكذا ! كان شخصية فذة بمعنى الكلمة.. وهو -مع هذا الجد والنظام- رقيق العاطفة، لا يؤدي أعمال البر والرحمة لمجرد أنه منظم يوزع الحقوق كالبر بالزوجات والإحسان إلى الأطفال والرفق بالعبيد والفقراء، بل إنه يهتز من الرقة لمواقف إنسانية طبيعية قد يمر بها كل إنسان؛ فلقد بكى على قبر أمه وهو في الستين من عمره، بعد أربع وخمسين سنة من وفاتها، وينهمر الدمع من عينيه، فيقول له صاحبه: ما هذا يا رسول الله؟ فيقول: "إنها رحمة يودعها الله قلب من يشاء من عباده، والراحمون يرحمهم الرحمن"، يبكي على أمه وقد مرت عليه عشرون سنة من النبوة لقي فيها الأهوال! ويفرح بولده الطفل "إبراهيم" فرحة والد بولده، ويحمله ويهتم له، ثم لما توفي هذا الطفل بكى عليه وقال "إنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون"، وينتفض الولد انتفاضة الموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فترى فيه الوالد والأب الكريم.



فلم يكن الأمر قرارا عقليا أو إنفاذا لتكليف بحسن الخلق، بل كان عاطفة تلقائية وفطرة مودعة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المقابل فإنك حين تنظر إليه وهو يبكي عند موت ولده إبراهيم تراه وقد جاء أسامة بن زيد -الذي هو حفيده في الميزان الجاهلي، لأنه ابن ربيبه زيد بن حارثة الذي اتخذه النبي ولدا له قبل أن يبطل الله التبني- ورأى النبي على هذه الصورة من الحزن، فصرخ أسامة، فإذا به صلى الله عليه وسلم يوقف بكاء نفسه وينظر إلى أسامة ويقول: "يا أسامة البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان فلا تصرخ"، أى قوة تلك التى جعلته وهو فى قمة انهمار العواطف فى نفسه يقف ليصحح عقيدة أو ليصحح حكما شرعيا لأسامة؟! ولا يشفع له أن الحالة حالة حزن ووفاة! بل يدفن ولده وهو يردد: "إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون" .

ولما كسفت الشمس في ذلك اليوم، وظنَّ الصحابة -من الحزن- أنها كسفت لموت ابن النبي وحزنه عليه، وقف النبي بين هذا الجمع وقال لهم: "أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان ولا تنخسفان لموت أحد".

ولك أن تعجب في هذه الواقعة كيف كان النبي يتوقف -وهو في ذروة العاطفة- ليمنع من الزيغ ويقول: إنها لم تكسف لأجل ابني وإنما هذه من آيات الله.

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالا للكمال البشري..

كان رجلا يدرك شؤون المجتمع، يتمتع بكفاءة إدارية وسياسية وعسكرية واجتماعية، صاحب لأصحابه، زوج لأزواجه، أب لأبنائه، وهو في ذلك يبلغ الغاية، ثم هو مع الضعفاء من المسلمين فوق ما يُتَصَوَّر، وهو في نفسه رجل رحيم عادل، وهو في كل حال متبع للشرع.

هـــذه إشـــارة سريـــعة إلـــى شخصيـــة النبي صلى الله عليه وسلم التي لا نعرفها. فإنك إذا نظرت إلى نفسك وتفكرت: ماذا فعلت مساء الأمس؟ وماذا فعلت صباح الأمس؟.. انظر إلى نفسك وأنت بعيد عن درس علم أو فعل خير، وقِسْ نفسك على هذه الآية: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوالله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: 12].. كم تبلغ درجة تأسيك بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأوقات؟! لا شك أنها ستكون ضعيفة، وهذا لأننا لا نعرف النبي جيدا، فلا نعرف كيف نتأسى به في كل أحوالنا، إن أغلبنا لا يعرف سوى 2% أو3% من شخصية النبي؛ فكيف نتأسى بمن لا نعرف؟

نسأل الله أن يفك أسر الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل وأن يحفظه من كل سوء، (المقال مقتبس من الدرس الأول والثاني في دروسه عن السيرة النبوية).



يعتذر الدكتور وصفي عاشور أبو زيد عن كتابة مقاله هذا العدد، وتتقدم أسرة مجلة كلمة حق بخالص العزاء للدكتور وصفي لوفاة والده ، نسأل الله له الرحمة والمغفرة، ولأسرته الصبر والسلوان.

دماء الشهداء .. والحرية الحمراء

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

لم يكن يقصد التعزية والمساواة وحسب؛ عندما قال شوقي هذه الكلمات الخالدة :

فَفِي القَتلَى لأجيالٍ حياةٌ ... وفي الأسرَى فِدىً لَهُمُ وعِتْقُ

وللحريةِ الحمراءِ بابٌ ... بكلِّ يدٍ مضَرَّجَةٍ يدَقّ

ولا يَفْهم مراده على الوجه الصحيح إلا من تَلَقَّى هذه الكلمات وهو في الوضع الصحيح، والوضع الصحيح هو ما تدعو إليه هذه الكلمات، وليس وضع القعود لتلقي العزاء واستمداد المواساة، والذي تدعو إليه هذه الكلمات هو الحقُّ الذي صرحت به الآيات البينات المحكمات: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة 193) (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الانفال 39).

والفتنة التي تمنع من أن يكون الدين لله هي هيمنة الطغيان على الخلق، وما يترتب على ذلك من حرمان الناس من الحرية الحقيقية التي هي الباب لدخول الناس في دين الله أو في الطاعة لأحكام دين الله؛ ولذلك لم تكن الشعوب في يوم من الأيام هدفاً لسيف الجهاد، ولم يكن قهرها على الإسلام غاية من غاياته، وإنَّما كان المستهدف دوماً هو قوى الطغيان التي تحول بين العباد وبين ربهم بالحيلولة بينهم وبين الحرية التي هي باب ولوج العباد إلى رب العباد تبارك وتعالى؛ لأجل ذلك فرق العلماء بين موجب القتال وموجب القتل، فليس الكفر وحده بموجب للقتل حتى تنضم إليه الحرابة، وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه قول الله تعالى من سورة البقرة: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة 190) أي: لا تعتدوا بقتل من لا يقاتل من النساء والصبيان وسائر من نسميهم بالمدنيين.

وبمجرد سقوط قوى الطغيان في مكان ما أو بلد ما يُرْفَع عنها سيف الجهاد، ويتوقف فيها العمل بآياته، بما في ذلك آية السيف، ويقال للناس عندئذ: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة 256) ويبدأ العمل بآيات الحرية التي لم تنسخ على الصحيح: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (الكهف 29) (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ؛ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية 21-22) (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ) (ق 45).



هذه الحرية حقُّ أعطاه الخالق للعباد؛ فهي من ثمَّ جزء من طبيعته؛ إلى حدٍّ أنَه لا يملك التنازل عنه وهو في وضعه الطبيعيّ الذي فطره الله عليه، يقول روسُّو: " تَنَزُّل الإنسان عن حريته يعني تَنَزُّلا عن صفة الإنسان فيه، وتَنَزُّلا عن الحقوق الإنسانية ... وتَنَزُّلٌ كهذا يناقض طبيعة الإنسان"[1] ومن ثمَّ تكون الطبيعة الثانية المكتسبة بطول المكث في أغلال العبودية قد غلبت على الطبيعة الأولى التي فطر عليها الإنسان، وهو وضع بطبيعة الحال مقلوب، وكما يقول جون ديوي: " فالاعتراف بأنّ الناس قد يدفعهم طول العهد بالعبودية والرق أن يحبوا أصفادهم التي تقيدهم اعتراف بأن الطبيعة الثانية - أي الطبيعة المكتسبة - أقوى فعلا من الفطرة الأصلية"[2]

أمَّا لماذا هي حمراء ؟ فلأنَّها على مدى التاريخ صبغت بالدم، والذين نشدوها لأنفسهم ولغيرهم - أيًّا كان معتقدهم - قاتلوا في سبيلها فَقَتَلوا وقُتِلُوا، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة 111) وظل هذا هو منهج الجيل الأول من هذه الأمَّة المباركة؛ حتى تحقق لهم وللبشرية ما أرادوه وأعلنوا عنه: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

ولم تنل الشعوب الأوربية حريتها إلا بنفس الصنيع، ففي بداية الطريق استلهم الإنسانيون فكر شيشرون والرواقيين عن الحرية والقانون الطبيعيّ، ثمّ شقوا بالناس طريق الحرية الحمراء، فكان "الحل الذي اقترحه الإنسانيون في أوائل القرن الرابع عشر قد اتخذ صورة إحياء المثال الأعلى، الذي تمثل في أن يكون المواطنون مسلحين ومستقلين، وهو المثال الأعلى الذي امتدحه أرسطو في الكتاب الثالث من كتاب السياسة، وقالوا بوجوب الدفاع عن فلورنسا، وأن يكون حكمها من قبل رجال يكونون مستعدين - لا لتقديم مهاراتهم السياسية فقط - بل وتقديم حياتهم عند الضرورة، بغية الحفاظ على الجمهورية وحريتها"[3]

---

(1) العقد الاجتماعي - جان جاك روسو - ترجمة عادل زعيتر - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت لبنان - ط الثانية 1995م ص73

(2) الحرية والثقافة - جون ديوي - ترجمة أمين مرسي قنديل - مطبعة التحرير - مصر - ط2003 م ص9،8

(3) أسس الفكر السياسي الحديث (عصر النهضة) الجزء الأول - كوينتن سكنر - ت: د. حيدر حاج إسماعيل - المنظمة العربية للترجمة - توزيع مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان - ط أولى 2012م ص 161

وظلت شرارة الثورة على هذا النحو تنتقل من مدن إيطاليا ومقاطعات لمبارديا إلى بريطانيا في ثورتها التي شبَّت قبل الثورة الفرنسية بقرن من الزمان تقريباً، واستمرت الحرب الأهلية عقداً من الزمان أو يزيد لتستقر سفينة الثورة على شاطئ النصر على أثر الثورة البيضاء التي كتب لها أن تكون بيضاء لعجز الملك عن المقاومة أمام جيوش البرلمان الحمراء.

إلى أن جاءت الثورة الفرنسية الكبرى، فكان استيلاء الثوار على الباستيل بهذا العنف الذي رواه التاريخ فتحاً مبيناً بعث الهمَّة والنشوة في شعوب أوربا بأسرها، وقد يقال إنَّ قوة الثوار في الاستيلاء كانت متطرفة إلى حدٍّ بعيد "بيد أنَّ الاستيلاء برغم تدنسه بالجريمة على ذلك السجن القديم الذي في أطراف باريس وهدمه كان عملاً سياسيا فذا ورائعاً؛ ففي طول أوربا وعرضها هلل الناس وكبروا؛ مرحبين بسقوط الباستيل كخاتمة للطغيان المستتر والسجن الظالم المستبد، وبشير لبزوغ فجر الحرية"[4].

> هذا هو الطريق؛ وما وقع في مسيرة الثورات عبر التاريخ من أخطاء لا تنسب إلى طبيعة الطريق، وإنَّما تنسب إلى الأداء؛ لذلك يجب أن يسلم الأداء من الاستعجال والارتجال، وأن يسلم كذلك من ردة الفعل غير المحسوبة، وأن يقع عبر رؤية يصنعها الكبار مع الشباب، وعبر مشروع تتجلى فيه هوية الأمَّة، وعلى النحو الذي يحقق الغاية ولا يجر إلى الفوضى العامَّة التي تدمر دون أن تحقق المصالح المرجوة.



(4) تاريخ أوربا في العصر الحديث - هربرت فِشر - ت: أحمد نجيب هاشم، وزميله- ط دار المعارف - مصر - ط 6 ص 12

التصـــــــور الإســــــــلامـــــي للعلاقة بين الحاكم والمحكوم (4)

حرية الرأي والتعبير

د. البشير عصام المراكشي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...

ما أكثر ما يروج اليومَ مصطلحُ "الحرية" عموما، و"حرية الرأي والتعبير" خصوصا، في كلام السياسيين والإعلاميين والمفكرين ..

وما أكثر ما يطالب الناس عندنا بمضمونه، ويَعِد صُناع القرار بتحقيقه في الواقع، دون أن يكون لتلك الوعود كبيرُ وجود فعلي ..

ثم ما أكثر ما تختلطُ هذه المطالب المشروعةُ في أصلها، بأفكار مستوردة من خارج المنظومة الإسلامية، فتقع المطالبة بحق ملتبس بباطل، وتغرق أصول الحق بين أمواج الأباطيل المزخرفة برنّان الشعارات !

لذلك سأقصد في هذا المقال إلى تأصيل مشروعية حرية الرأي والتعبير، ثم بيان الفرق في هذه الحرية بين النظام السياسي الإسلامي والنظام السياسي الغربي، المهيمن اليوم على العالم كله.

تمهيد في المراد بحرية الرأي والتعبير

يــراد بحــرية الــرأي والتعبيــر قدرة الفرد على الاختيار بين الآراء المختلفة دون إكراه، واعتناق ما يشاء منها دون تدخل خارجي، ثم قدرته على التعبير عنها بمختلف وسائل التعبير الممكنة دون رقابة أو قيود. وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - وهو الأصل الذي يستند إليه المعاصرون في هذا المجال: "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية".

فهنالك إذن تلازم تام بين حرية الرأي وحرية التعبير، إذ ليس المقصود بحرية الرأي: عملية التفكير الباطني المجردة عن حركة التعبير ونشر الأفكار.

وتشمل حرية الرأي والتعبير مجالات مختلفة، منها على الخصوص :

- المجال السياسي
- و المجال الفكري
- و المجال الاعتقادي.

والذي يلائم موضوع هذه المقالات، هو حق المحكوم - أي: الفرد - في التعبير عن رأيه - في أي مجال كان - دون أن يتعرض له الحاكم - أي: السلطة السياسية - بعقاب أو تضييق أو تهديد. فلا ينحصر الرأي المقصود هنا في الجانب السياسي، بل في كل فكرة يمكن للفرد التعبير عنها، ويمكن أن يكون للسلطة السياسية فيها نظر مخالف لنظر الفرد.

أقسام الرأي في النظر الشرعي

وما أكثر ما يطالب الناس عندنا بمضمونه، ويَعِد صُناع القرار بتحقيقه في الواقع، دون أن يكون لتلك الوعود كبيرُ وجود فعلي ..

يمكن تقسيم الرأي الذي يتبناه الإنسان، بحسب حكمه الشرعي إلى أقسام خمسة، هي أقسام الحكم التكليفي. كما يمكن اختزالها في ثلاثة أقسام:

- المشروع، وهو الواجب والمندوب.
- وغير المشروع، وهو الحرام والمكروه.
- والمباح، وهو المخيَّر فيه.



أما القسم الأول، فلا يجوز للحاكم أن يمنعه، بل عليه أن يمنع تركَه والتفريط فيه. ويدخل في هذا النوع الرأيُ السياسي المشروع، كمحاسبة العمال والحكام، وانتقاد عملهم وتقديم النصح لهم، وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك. كما تدخل الآراء الفقهية الاجتهادية، فليس للحاكم أن يحمل الفقهاء على قول واحد، أو يمنع أقوالا فقهية مخصوصة، ما دامت تدخل في دائرة المشروع.

> والدليل على عدم جواز تعرض الحاكم لهذا النوع بالمنع: النصوص الدالة على فضل قول كلمة الحق، مثل قوله عليه الصلاة والسلام حين سئل: أي الجهاد أفضل؟ فقال: "كلمة حق عند سلطان جائر" (أحمد والنسائي)؛ وحديث: "ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن" (مسلم)؛ وحديث: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" (أحمد والترمذي وأبو داود).

ويدل عليه أيضا ما جاء في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه علامة خيرية الأمة، وما جاء في فضل الدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام.

ومن الدليل على ذلك أيضا فعل الصحابة. فقد ثبت في عصر الخلافة الراشدة، أن جماعة من الصحابة أنكروا وبينوا وحاسبوا، ولم يتعرض لهم الخليفة بالمنع. فعدم المنع - مع قيام المقتضي لذلك وهو مخالفة الرأي المنشور لرأي الحاكم - برهانٌ على أنهم لم يكونوا يرون جواز التعرض بالمنع للآراء المشروعة.

وأما القسم الثاني، فيندرج فيه جميع الآراء المنهي عنها شرعا، وعلى رأسها: الكفر والبدع والطعن في شعائر الله ونشر الفواحش والقذفُ والسب وما أشبه ذلك. فهذا النوع يجب على الحاكم منعه، ويدل على ذلك أمور، منها:

- وجوب النهي عن المنكر على عامة المسلمين - والحاكمُ منهم. فهو مخاطب بهذا الوجوب، بل هو أول المخاطبين به، لتوفر شرط القدرة لديه.

- فعل الصحابة وهو كثير مستفيض. من ذلك قصة تأديب عمر بن الخطاب لصبيغ بن عسل؛ ومن ذلك قول علي رضي الله عنه: "لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"؛ ومن ذلك أن عمر قال في خطبته: "ومن يضلل فلا هادي له"، فقال نبطي: "إن الله لا يضل أحدا"، فقال عمر: "والذي نفسي بيده لئن عدت لها لأضربن الذي فيه عيناك"؛ ومن ذلك ما جاء عن الصحابة من تطبيق عقوبة المرتد، أو الدعوة إلى تطبيقها، وهو كثير.

وجـاء نظيـر ذلك عــن عمر بن عبــد العزيـز، قولا وفعلا؛ فقد قال عن القدرية: "أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا"، وضرب رجلا سبّ معاوية رضي الله عنه ثلاثة أسواط.

■ ما تقرر في الفقه السياسي الإسلامي من أن أعظم مسؤوليات الحاكم: حفظ الدين. ولا شك أن مِن حفظ الدين منع الآراء التي تناقض الشرع، وتفسد أديان الناس. ولذلك نص الفقهاء على عدد كبير من العقوبات التي يجب على الحاكم أن يوقعها في باب الآراء المبتدعة، أو نشر الشبهات والضلالات.

وأما القسم الثالث، فالأصل فيه عدم جواز تعرض الحاكم للناس في ما يرون من الآراء المباحة. وذلك لحرمة دم المسلم وعرضه وماله، فلا يجوز التعرض له بالعقوبة بغير حجة. وعلى هذا عمل المسلمين في زمن النبوة وعصر الخلافة الراشدة.

على أن للحاكم أن يقيّد بعض المباحات، إذا كانت المصلحة العامة تقتضي ذلك، وعلى هذا تأصيل الفقهاء المصنفين في السياسة الشرعية، وعليه عملُ السلطات السياسية في الغرب اليوم. إلا أن هذا التقييد، لا ينبغي أن يتحول إلى ذريعة يتخذها الحاكم لمنع الآراء المخالفة لسلطته. والسبيل إلى ذلك ألا ينفرد الحاكم بهذا القرار، بل لا يقيّد المباح لدرء الضرر العام أو مراعاة المصلحة العامة، إلا من خلال مجلس شوري يجمع أهل الاختصاص، من علماء الشريعة والمختصين في الموضوع الذي يراد تقييد المباح فيه.

وتفصيل ذلك يدور على الصيغة الشورية الإسلامية لتقييد السلطة السياسية للحاكم. ولتفصيل ذلك مقام آخر.



بعد أن قررنا آنفا أن من واجب السلطة السياسية أن تمنع الآراء والأفكار المخالفة للشرع، فإن المتماهين مع الحضارة الغربية الحديثة يعترضون بأن تسويغ هذا المنع، يفتح الباب أمام كل منع، ويعطي الحاكم ذريعة للتضييق على ما شاء من الحريات متى شاء، بزعم أنها مخالفة للشريعة. ولن يعدم لذلك تأويلا مناسبا!

والجواب على هذا الاعتراض من أوجه :

أولها: أن من أهم ما يميز النظام السياسي الإسلامي، وجود مرجعية متجاوزة يعرف من خلالها الممنوع، ويميز عن المشروع. والخوف من عدم انضباط المنع، إنما يرد في حالة غياب هذه المرجعية العليا؛ فالناس حينئذ يرجعون إلى محض أهوائهم وتقلبات آرائهم.

والثانـي: أن المخـالِف حين يدعو نظريا إلى نظام سياسي لا تمنع فيه الآراء مطلقا، فهو يعلم يقينا أن ذلك غير ممكن عمليا، لغلبة شهوات النفوس على المتحكمين في السلطة. فإن قال: لدينا القدرة على تقييد الحاكم، بالضمانات والمؤسسات، فلا يمكنه التعرض للآراء بالمنع، وإلا حوسب على ذلك. فجوابنا: وكذلك ما الذي يمنع أن نضع من الضمانات والمؤسسات ما يجعل الحاكم لا يتعرض بالمنع إلا لآراء مخصوصة لمخالفتها للمرجعية الشرعية، فإن تجاوز الحد إلى ما لا يحلّ له منعه حوسب على ذلك أيضا؟

والثالث: أن الأنظمـــة السياســـة المعاصرة لا تبيح جميع الآراء، مع تبجحها باحترام حرية الرأي والتعبير. بل ما أكثر الآراء التي يمنع نشرها في الغرب، تحت طائلة المحاسبة القانونية. غاية ما في الأمر، أن الغرب - لتخليه عن مرجعية الدين منذ زمن - لم يعد يمنع رأيا ما لاعتبار ديني. أمّا لغير الدين من الاعتبارات السياسية والفكرية والفلسفية، فالمنع عندهم وارد دون اعتراض.

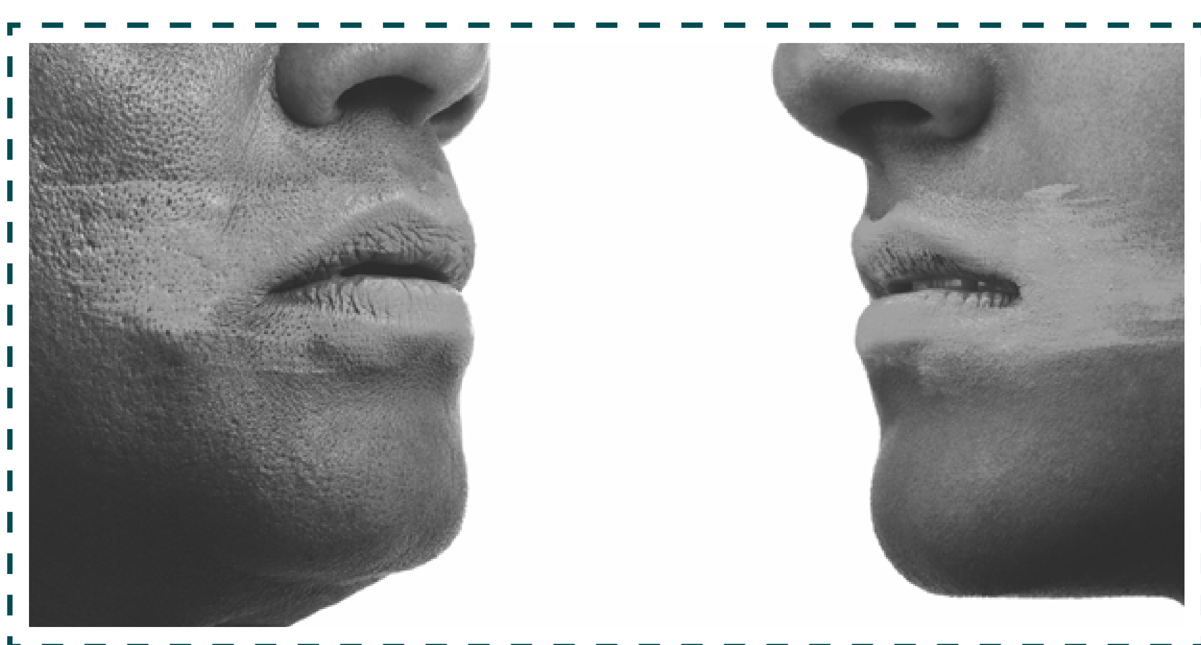


وهذا يجرنا إلى الفرق بين النظرة الإسلامية والغربية إلى حرية الرأي والتعبير. وملخص الفرق أن المرجعية الإسلامية تعدّ حفظ الدين أول المقاصد الشرعية وأعظمها. ولأجل ذلك فإن الرأي الذي يعارض هذا المقصد، معارضة صريحة لا تحتمل التأويل، هو رأي مرفوض، لا حرية في إبدائه، ولا ضير في منعه.

كما أن "الضرر" الذي ينحصر في الثقافة السياسية الغربية في الأذى المادي الذي يلحق الفرد أو مجموعة من الأفراد، يتوسع مفهومه في الإسلام فيشمل الضرر على أديان الناس وعقائدهم. فسبّ الله تعالى ضرر ديني ما بعده ضرر، وجرم ليس بعده جرم؛ أما في الثقافة العلمانية الغربية، فحرّية فردية لا ينكر على صاحبها! وشتم النبي صلى الله عليه وسلم أخطر - في نظر الفقيه المسلم - من شتم أي إنسان آخر، كائنا من كان؛ لكنه في ثقافة العصر لا يقتضي تجريما، بخلاف شتم شخص معاصر!

كما أن الإسلام حين يحرم تصرفات عملية معينة (كشرب الخمر والزنا)، فإن من الطبيعي أن يحرم الرأي الذي فيه دعوة إلى فعل هذه التصرفات. ومن التناقض تحريم السلوك، وإباحة الدعوة إليه، لا لشيء إلا لأن الأول فِعلٌ، والثاني رأي! والغربيون أنفسهم يمنعون الدعوة إلى ما هو مجرّم عندهم من الأفعال، كالقتل والسرقة والتهرب الضريبي ونحو ذلك.

فهذا ملخص الفرق بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية لقضية حرية الرأي والتعبير، وهو فرق لا بد من استحضاره عند مناقشة هذه القضية. وإلى لقاء مقبل في موضوع آخر من موضوعات العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام.



الحصة الأولى..
كيف تصنع قنبلة نووية !

معتز زاهر
مدير التحرير

"يرجع الابن مجهدا بعد يوم طويل في المدرسة البعيدة، يلقي بحقيبته في تأفف كعادته في أول ما يفعل بعد دخوله البيت يوميا.. تقبل عليه أمه فاتحة ذراعيها وتسأله ماذا درستم اليوم؟ يرد الطفل بعبارة يائسة : لا أذكر."



يقوم طفل في العاشرة من عمره بالتوجه إلى ذلك الرجل الذي يطوف بعربة يجرها حمار؛ ليعطيه حقيبة بلاستيك مليئة بالكتب الخاصة بالعام الدراسي الفائت، يبيعها له مقابل مبلغ زهيد جدا.. وأحيانا يعطيها له بلا ثمن.. لمجرد التخلص من تراكمها بالمنزل.

أما الثالث فهو ليس مشهدا.. بل شعورا عند الغالبية العظمى من الأطفال في المدارس.. ألا وهو الشعور بالضيق من المدرسة ونظامها الرتيب الممل، حتى صارت أمنية كل طفل بالمدرسة أن يغيب عن الحضور.. لا ليذهب في رحلة ممتعة بل فقط ليجلس داخل المنزل.. ليلتقط أنفاسه.

"النظام المدرسي في بلادنا هو نظام فاشل بامتياز.. فهو نظام يقوم على حشو الأدمغة بالمعلومات في إطار من العسكرة التعليمية.. وأكبر دليل على فشله أن معظم التلاميذ لا يكتفون بالمدرسة بل يوفر لهم آباؤهم مدرسين خصوصيين، ليزيد الطين بلة ويصبح الطفل يدور في فلك نظام تعليمي متخلف بالليل والنهار."

ماذا أريد من التعليم؟

هـذا السـؤال الذي ينبغي أن تنبني عليه العملية التعليمية، والإجابة الخاطئة سيكون لها مردود كارثي من التأخر لسنين عدة عن ركب الحضارة.

نحن نريد من تعليم أبنائنا أن نمتلك القوة التي تمتلكها الولايات المتحدة وروسيا والصين وأن نسبقهم حضاريا لنقود العالم مرة أخرى.

نحـن نريد من التعليم أن يكبر أولادنا ليجدوا وظيفة "محترمة" في الحكومة وبالتالي يكون لهم تأمين صحي وراتب بعد تقاعدهم... إلخ.. وهذا جواب آخر..

وهو الجواب الذي يوجد عند أغلب الآباء، والذي أنتج ملايين من الأشخاص الذين يعيشون كالقطيع بامتياز.. قطيع أصبح يعتقد أن حياته مرتبطة بالحكومة فإذا ذهبت سيضيع عمره ويخسر كل شيء.. نعم قد نجحت الحكومات بنظمها التعليمية وقولبتها للشعوب أن تصل لهذا النجاح المبهر في السيطرة على ذوات المواطنين وصبهم في قوالب متشابهة في الأفكار والممارسات.. لذلك أصبحت الثورة على الأنظمة المستبدة يعتبرها المواطن الأليف تهديدا لحياته على المستوى الخاص.

لكن ماذا عن الجواب الأول؟

إذا كان الجواب الأول هو جوابنا ستكون المناهج مختلفة تماما وطرق التعليم أيضا.. فتخيل لو أن الطفل يدرس عددا من الحصص الفريدة من نوعها موزعة على الأسبوع بمرونة، وفق خطة سنوية تكسبه معارف وعلوما محددة سلفا أحتاجه أن يدركها ليوظفها لاحقا لخدمة الأمة؟

وبالطبع يدرس المواضيع الكبيرة التالية من الصفر وبتفكيكها لمئات الدروس الصغيرة، وبتوزيع معلومات المواد الأساسية على آلاف الساعات الدراسية، ويتدرج الطفل بها حسب عمره وإدراكه.

فلابد أن يكون في تصوري كأب/ أم/ مربي فن ما أو علم أريد من الطفل أن يصير متخصصا فيه بعد عشرين سنة على سبيل المثال، فيدرس في حصة ثابتة كيفية صناعة القنبلة النووية! نعم كما قرأت.. القنبلة النووية.. ويفهم نظريا كيف تجعل هذه القنبلة الدولة التي تمتلكها محترمة بين الأمم ومهابة الجناب؟



أظن بعض القراء يستغرب الآن ولكني سأسأل أسئلة أخرى فليعذروني.. ماذا إذا كانت الحصة الثانية تتحدث عن كيفية البرمجة وشن الهجمات الإلكترونية واختراق وزارات وهيئات الدول المعادية لنا؟ والثالثة عن كيفية تصنيع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، وكيف أن امتلاكها لا يعني استخدامها بوحشية لتدمير البشرية.. ولكن يعني فقط فرض احترام أمتنا على الجميع في عالم لا يحترم الضعيف.

والرابعــة عـــن كيفيــة تصنيع طائرة بدون طيار؟ والخامسة عن التدرب على استخدام السلاح وأنواع الصواريخ وغيرها؟ والسادسة عن كيفية إيجاد اقتصاد آخر خارج منظومة اقتصاد الدولار؟ والثامنة عن التربية الدينية والعقدية ورسالة الإسلام الحضارية؟ والتاسعة عن تاريخ الأمم وصراعها؟ والعاشرة عن الروبوتات؟

هذه فقط أسئلة لطرح أمثلة على الموضوعات والعلوم والفنون التي نفتقدها، والقائمة تطول بالعناوين التي نحتاج أن ندرسها ويدرسها أطفالنا.. ولكن للأسف لا توجد حكومة تكفل هذه الدراسة في مدارسها لأن الحكومات العربية هي حكومات وظيفية عند الرجل الأبيض الذي لا يسمح بامتلاك المسلمين القوة المعرفية التي تؤهلهم مستقبلا لمنازعة تربعه على عرش العالم.

" لذلك كانت الحاجة إلى التعليم المرن كثورة تعليمية واجبة لابد أن تنطلق بعيدا عن الأنظمة التعليمية الشائخة التي تهدر طاقات الأبناء، الذين سيشكلون وقود قطار الحضارة العربية والإسلامية في المستقبل القريب. "

إن العالم القــادم ستختفــي فيــه تقريبا الحروب التقليدية العسكرية، وستكون حروبا من خلف الحواسيب، الغلبة فيها لن تصبح لمن يمتلك دبابات أكثر وجيشا نظاميا عرمرما، بل لمن يمتلك العلم التكنولوجي المبني على عقيدة لا تعرف معنى الهزيمة ولا تقبلها كخيار، ستكون حروبا قد تستطيع معها النجاح في إسقاط اقتصاد بلد كبير باختراعك لعملة إلكترونية يقبل عليها الناس بصورة سرطانية متسارعة تخسف بعملات الدول العظمى الأرض.. قد تستطيع ببرمجة ما وبتصنيع فيروسات إعطاب قدرة دولة عظمى على استخدام قنابلها النووية وشل أركانها المخابرتية وآلاتها العسكرية.. قد تنجح في اختطاف طائرات بدون طيار من قواعدها الأساسية وتوجيهها لتدمير ما حولها من طائرات... إلخ.

كل ذلك لن يأتي إلا بالعلم التكنولوجي والتعليم المرن الذي يصنع جيلا من العباقرة والذي ينهي استعباد شعوبنا.. ذلك العام الذي بالطبع لن يعطى لأبنائنا في مدارس الحكومة ولا في جامعاتها.

إننا بحاجة ماسة لمعرفة فلسفة التعليم المنزلي/ المرن/ غير المدرسي، كلها أسماء تطلق على التعليم الحر الذي يتزايد المنخرطون فيه زيادة هائلة حول العالم، في أمريكا وأستراليا وأوروبا وآسيا وأفريقيا وكل بلاد العالم تقريبا.. إنك ببساطة تستثمر في القوة البشرية التي عندك لتفرز منها قوة ضاربة غير عادية وكوادر تستطيع من خلالها تأمين مستقبل تنافسي أفضل بدلا من أن تقبع أمتنا دوما في مؤخرة الركب.

بالتأكيد الأمر ليس هينا بل هو أصعب من التعليم التقليدي بالنسبة لدور الوالدين أو المربين في العملية التعليمية. (لكاتب هذا المقال ثلاث مقالات يرجى الرجوع إليها لمزيد تفصيل حول هذه الفقرة:

1- فلسفة التعليم المنزلي ، 2- مخاوف التعليم المنزلي ، 3- كيف أحصل لابني على شهادة.

إن الإنفاق على التعليم المرن وتبنيه كمشروع استراتيجي وإطلاق منصات تعليمية مرنة غاية في الأهمية لإنجاح مجهودات التعليم المرن، فتتبنى مجموعات ولو صغيرة لإعدادها ضمن عملية تعليمية احترافية، مع تحمل ما يتطلبه ذلك من رصد مبالغ مالية لتوفير المناهج وترجمتها، وتوفير مدرسين للمجموعة، والإنفاق على المعدات الدراسية المطلوبة لإجراء التجارب العلمية، وممارسة الأنشطة التعليمية، والقيام بالرحلات العملية المطلوبة، في إطار خطة احترافية جادة تضع المستقبل القريب نصب عينيها.



والإنفاق ما هو إلا جزء من التنظيم المطلوب عموما لإطلاق مشروعات التعليم المرن في أماكن كثيرة، ولكن المخاطب بإطلاق ثورة التعليم المرن هم الآباء بصورة أولية، فلا ينتظر من يأتي ليتبنى تعليم ابنه بطريقة مرنة وينفق عليه، بل يدرس الأهل المشروع ويعرفون مخاطره وإذا رأوا في أنفسهم القدرة على البدء مع الطفل ومساعدته في العملية التعليمية فليشرعوا في ذلك.. مع استثمار فرصة مصادر المعلومات المتاحة على الإنترنت وطلب الاستشارة والمساعدة ممن يخوضون هذه التجربة.

في التعليم المرن بيدك تماما أن تكسب ابنك ما تريد من معارف، على عكس المطحنة التعليمية التي لن تعطيه ما يتعارض مع سياسات الدولة، فبيدك أن توفر له منهجا يصنع منه عالما فلكيا، أو كيميائيا، أو طيارا، أو غير ذلك، منهجا يمشي معه من نعومة أظفاره بما يناسب سنه، فيعد من صغره على أنه سيصبح في مكان محدد مرسوم له، حتى ينام ويحلم بذلك، ولا يكتفى بالكتب بالطبع، بل تضم إليها التجارب والأنشطة والدورات المتخصصة الحرة، ويستعان بذوي التخصص في مختلف المراحل ولا بأس أن يمر في مرحلة ما بدراسة أكاديمية نوعية يحتاجها وتخدم تخصصه.



"شهيد جديد من خيرة شباب الثورة الذين تركهم السجان دون علاج حتى قضوا نحبهم شاهدين على إجرامه، وممن ضحوا بكل شيء وتركوا حياتهم المرفهة ليتفرغوا لمقاومة الاحتلال العسكري لمصر، كان شعاره الذي يردده دوما سنحيا كراما ، ونحسب أنك يا **"حامد مشعل"** تحيا كريما عند ربك"

رحمك الله وكتبك عنده شهيدا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كلمة حق

العدد السابع , فبراير 2018